إليكَ عهدي

آمال غلاب



بسم الله الرحمن الرحيم

إليكَ عهدي

آمال غلاب

"اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعةً له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبدا، اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه، والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والممتثلين لأوامره والمحامين عنه والسابقين إلى إرادته والمستشهدين بين يديه، اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني من قبري، مؤتزراً كفني، شاهراً سيفي، مجرداً قناتي، ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي"[1]

(1) (دعاء العهد، بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ١١١)

المقدمة

هل لاحظنا في حياة من حولنا تصرفاتٍ لا تعجبنا.

في حياة أبناءنا، في حياة أزواجنا، في حياة أهلنا، أقربائنا وأصدقائنا، في أفراد مجتمعنا، في بَني أمتنا؟

بكل تأكيد نحن وجدنا أن الدين الذي يعتنقه الناس ينادي بشيء، لكنّ سلوك الناس ينحى منحناً آخر مُغاير.

لِمَ نذهبُ بعيداً؟

لنأتي إلى أنفسنا ونقف قليلاً ونتساءل..

هل أنا راضٍ عن سلوكي؟ لماذا لازلت أحتفظ ببعض العادات السلبية السيئة؟ ولماذا يتملكني شعور بالضيق في أحيانٍ كثيرة؟ لماذا لا تؤثر عباداتي على حياتي بالشكل

المطلوب؟ لماذا كلما حاولت الرجوع عن الأخطاء أعود وأرتكبها مرة أخرى؟

وبالرغم من أنني تقدمت في العمر وتسلحت بالعلم إلا أنني لازلت أبحث عن الراحة النفسية فلا أجدها.

وبكلمة: كلنا يُقرّ أنه ليس كما ينبغي أن يكون عليه..

ثمّ لا شك أننا سمعنا عن أشخاصٍ أو قابلنا أشخاصاً تعجّبنا من سلوكهم وطريقتهم في الحياة، أشخاصاً رأينا النور في وجوههم والطمأنينة في نفوسهم والرحمة في قلوبهم والبركة في أعمالهم والتوفيق في حركاتهم، وقد نكون شعرنا عندما قابلناهم أو سمعنا عنهم، أنهم جاءوا من عالم آخر ليس كعالمنا، أو أنهم لم يمروا بما مررنا به في حياتنا من مصاعب وآلام، والحال أنهم بشرٌ مثلنا وقد يكونوا مروا بظروفٍ أشد قسوةً مما مررنا به.

مهلاً، دعونا لا نفقد الأمل، في تغيير ذواتنا والآخرين من حولنا، فباب الأمل مفتوح دائماً ولنكن أنا وأنت

كذلك الذي شعرنا أنه قادم من العالم الآخر، فنحن نحتاج أن ننفتح على عالم آخر غير عالمنا المليء بالسلبيات والمساوئ، عالم مليء بالنور والطهارة والصلاح، وذلك من أجل أن نصحح مسارنا في الحياة، ثم نعود إلى عالمنا هذا، وكأننا قد ولدنا من جديد.

أن تنفتح على عالم النور والطهارة والصلاح، لا يعني أن تكون معصوماً من كل زلل، بل يعني أنك تحاول أن تكون كذلك، كما يعني أنك تعرف كيف تتعامل مع أخطاءك وزلاَّتك، وأنّك تعرف أنّ هناك درجاتٍ ومقاماتٍ يتحدد موقعك منها بمقدار اجتهادك في الاستلهام من ذلك العالم الآخر الذي انفتحت عليه.

ولكن أين يقع العالم المليء بالنور والطهارة والصلاح لنتمكّن من الانفتاح عليه ومن ثمّ الاستلهام منه؟

عالم النور هو العَالم الرباني المقدّس، هو عالم الدعاء، حيث تنتقل الروح إليه لتقتبس منه القوة وتستنزل منه

الرحمة وتستورد منه الخير وتسترفد منه البركات والتوفيقات من أجل تغيير حياتها نحو الأفضل.

ولكن ماهي ميزة الأدعية التي تجعلها عالماً آخر؟

إنّ من عادة أهل البيت (ع) أنهم يكلّمون الناس على قدر عقولهم، ولكنّهم في الأدعية يكلّمون الله تعالى، لذا فهم يخاطبونه بقدرهم هم (ع)، لا على قدر عقول الناس، وذلك لكي يحفظوا لله تعالى قدره، لذا تعتبر الأدعية منظومة متكاملة لأرقى منهج معرفي وسلوكي عرفته البشرية، في تحصيل الارتباط بالله وتهذيب النفس وتنظيم المجتمع.

إن التدبر في نصوص الأدعية من شأنه أن يعطينا بالإضافة إلى التوجه القلبي والخشوع:

- عمق المعرفة: فمن أراد أن يعرف الكون وأسراره ويكتشف حقائق الوجود، ويعرف رب الكون وأولياؤه (ع) فليلجأ إلى الدعاء.

- خارطة الحياة الطيبّة: فمن أراد أن يعيش حياةً طيبة فإن خارطة الحياة الطيبة وسننها الثابتة موجودة في الدعاء.

- التصرّف السليم إزاء مواقف الحياة ومشكلاتها: ففي كثير من الأحيان تصادفنا في حياتنا مواقف لا ندري ماذا نفعل حيالها، ولا كيف نتصرف بشكل سليم فيها، فمن أراد مرشداً فعليه بالدعاء.

- مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات النفسية: كما أنّ مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات النفسية كلّها في الدعاء.

الخلاصة: إذا كنت تريد أن تولد من جديد، وتكون كذلك الشخص الذي شعرت أنه قادم من عالم آخر، فلنمضي معاً، ولنعرُج بأرواحنا في رحلة نورانية مع مقطع من دعاء العهد الشريف لنعيش بصائره ثم نعود إلى عالمنا هذا من جديد محملين بفيوضاته، مكتسين حُلل أنواره.

ولكن قبل ذلك لك أن تسألني عدّة أسئلة.

لماذا اخترت دعاء العهد بالذات؟

جوابي: لعدة أسباب منها /

أولاً- أنّ لهذا الدعاء أثراً تكوينياً، فأوّل جائزة تعطى لقارئه أن يكون من أنصار الإمام (عج)، قال الإمام الصادق عليه السلام: "من دعا إلى الله أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا (عج) فإن مات قبله أخرجه الله تعالى من قبره وأعطاه بكل كلمة - وليس بكل مرّة، فكم سيعطى من الحسنات، وكم من السيئات ستمحى عنه - ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة "[1]

ولك أن تسأل: ما هو الأثر التكويني؟ وما هو الفرق بينه وبين الأثر التشريعي؟

الأثر التكويني: هو الحكم الذي يحدث في عالم التكوين، والمقصود به هنا البركة المجعولة من الله تعالى في هذا الدعاء في عالم التكوين لا في عالم التشريع، فتوفيق النصرة الذي يناله قاريء هذا الدعاء يحدث في عالم

(١) (بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٩٥)

التكوين، أما **الأثر التشريعي أو الشرعي:** فالمقصود به الجعل الشرعي ويكون في عالم الجعل والاعتبار والتشريع، ومثاله الحكم بصحة الصلاة التي فرغ الإنسان منها ثم شك في صحتها بسبب احتمال الخلل فيها فالحكم بالصحة هنا هو أثر شرعي - لقاعدة الفراغ - وقد حصل في عالم الجعل والاعتبار لا في عالم التكوين.

وقد جعل الله تعالى لقاريء هذا الدعاء مضافاً إلى الأثر التكويني أثراً شرعياً ورد في قوله (ع): ".... وأعطاه بكل كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة "

والآن بعد أن عرفنا الفرق بين الأثرين، تعال لنتساءل: **هل هذا الأثر - الذي يُعطى لمن واظب على قراءة هذا الدعاء أربعين يوماً - قطعي، بحيث أن كل من يقرأ الدعاء كذلك يكون من أنصار الإمام و.؟**

الجواب : هنا لدينا سبب وهو "قراءة دعاء العهد أربعين صباحاً"، ولدينا مُسَبب "الأثر الناتج من قراءة الدعاء بالعدد المحدد" والحكم بوقوع المُسَبب نتيجة حدوث

السبب إنما هو على نحو المقتضي لا على نحو العلّة التامة، بمعنى أنك إذا قرأته كذلك كانت لك قابلية أن تكون من الأنصار وأن تعطى الثواب المذكور مالم توجد موانع تمنع من تحقق الأثر المذكور – إنّ كلّ ما ورد من ثواب لقراءة الأدعية وسور القرآن تنطبق عليه هذه القاعدة –، فنحن نقرأ في دعاء كميل: "اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء" ودعاء العهد دعاء فإذا كان هناك ما يحبسه فلن يتحقق الأثر ولو قرأته عشرات الأربعينيات.

لذا على القارئ أن يبحث عن الموانع التي تحبس دعاءه وتمنع ترتب الأثر عليه، ثمّ يعمد إلى إزالتها.

إنّ من الموانع ألا يكون الإنسان مرضياً عند إمامه (عج)، كمن يقرأ دعاء العهد في الصباح، ولكنّه يدمي قلب الإمام بأفعاله سائر اليوم، فهو يقرأ الدعاء بلسانه ويخالف مضامين الدعاء بسلوكه.

ومن الموانع أن يقرأ الدعاء بلا توجّه لمعانيه، فلا يتركُ الدعاء أيّ أثر في وجوده، ولو تأمّل مثل هذا الشخص،

وتوقف ولو قليلاً عند كلمات الرواية النورانية - وكل كلمة منها لها معنىً دقيق - سيدرك أنَّ الإمام (ع) قال: "من دعا إلى الله" ولم يقل "من دعا الله"، وفي هذا إشارة إلى أنَّ القارئ عليه أن يعيش حالة التلهف والالتجاء إلى الله عز وجل، فالداعي الذي يعطى هذه الجائزة الكبيرة ليس من يدعوا دعاءً عابراً، بل الذي يدعوا دعاء الغريق، دعاء المضطر الملهوف.

وتذكر: أنك إن كنت صادقاً في دعائك، عارفاً بالمضامين متوجهاً لها عاملاً بها باذلاً في ذلك جهدك فرب العالمين سيعينك وستشملك فيوضات المولى (عج).

ثانياً - الأحداث الجارية على العالم عموماً، وعلى المسلمين خصوصاً وبالأخص على أتباع أهل البيت، لأن في دعاء العهد تحصين للمؤمن خصوصاً في زمن البلاء والشدّة.

ثالثاً - أنّه يشتمل على الكثير من المفاهيم والمعارف التي من المهمّ أن يعيّها الموالي، ومن أهمها: العهد والعقد

والبيعة.

رابعاً - أنّه من الأدعية التي تساهم في الإعداد لعصر الظهور، ولذا فنحن هنا لا نريد أن نسقط روايات على أحداث، ولا أن نقرّب أو نبعد بعض العلامات التي كثر الحديث عنها، بل نريد أن ننشغل بتهيئة أنفسنا للظهور المقدّس، بدل أن ننشغل في علامات الظهور ومدى انطباقها على زماننا، وهل حصلت العلامة الفلانية أم لا؟

خامساً - كما أنّ المطلوب منّا في شهر رمضان أن نعيش مع إمام الزمان (عجّ)، لأنّ النتيجة التي سنحصل عليها في ليلة القدر سنأخذها منه لا من غيره، وفي شهر محرّم، شهر ذكرى مُصاب سيّد الشهداء وصحبه الأبرار، المطلوب منّا أن نعيش هاجس الأخذ بثأره (ع)، فهو (ثار الله وابن ثأره) كما ورد في زيارة عاشوراء، لأنّه استشهد من أجل إقامة حكم الله تعالى، وحفظ دينه، فضمِن الله الأخذ بثأره، وذلك لا يكون إلاّ على يد صاحب الثأر الذي سيظهر آخر الزمان، (فأسأل الله

الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب ثأرك مع إمام منصور من أهل بيت محمد (ص))[1]

فإنّ المطلوب منّا في دعاء العهد أن نعيش مع إمام الزمان كلّ صباح، بل كلّ حينٍ وآن.

سادساً - (وهو الأهم) هو أنّ الالتزام بمضامين هذا الدعاء له دور كبير في تهذيب النفس والعروج بها صوب كلّ الكمالات.

لماذا سمّي هذا الدعاء بدعاء العهد؟

جوابي هو:

لسببين:

أولاً- لورود لفظة العهد فيه: "اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعةً له في عنقي"

(١) (بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٢٩٤)

فلفظة العهد كمفردة موجودة في أصل هذا الدعاء، وهي ذات دلالات قويّة وحيّة بحيث تجعل القاريء يتعايش معها بقوّة إذا وصل إليها، سواءً كان يقرأ الدعاء لوحده أو مع جماعة.

نعم لا بدّ من التذكير بأن هذا الاستشعار القويّ ينبغي أن يضاف إليه التطبيق العملي لما تمّ عليه العهد وجعله أسلوب حياة، وهذا ما نصبوا إليه من خلال شرح هذه الفقرة من الدعاء.

ثانياً- لأن القاريء للدعاء يُجدد عهداً مع إمام زمانه كل صباح لمدة أربعين يوماً، وتجديد هذا العهد المُبرم هو لب دعاء العهد، فنحن مأمورون أن نجدد لإمامنا العهد كل يوم، حتى نعبِّر له من خلال ذلك عن ولائنا، وصدق انتظارنا، وعن جاهزيتنا لنصرته والدفاع عنه وعن مشروعه الإلهي الكبير.

سِرُّ الأربعين ...

ما هو السرّ وراء تكرار هذا الدعاء أربعين مرّة؟

جوابي:

لا أحد يعرف السر الدفين في عدد الأربعين، ولا ما هي فلسفته الوجودية وامتيازه على الأعداد الأخرى، فهذا أمر خافٍ علينا، وبعيد عن متناول عقولنا.

ولكنّ سأذكر بعض الأمور التي تتناسب مع مقدار فهمي، ولكنّها قد لا تعكس كلّ الحقيقة: إن خلقة الكون كله بمن فيه وما فيه شديدة الصلة بالميزان ومن ثم بالعدد، لأن الخلق الإلهي مرتبط بالتقدير والحكمة في الصنع على نحو متناهٍ في الدقة وغاية في الإتقان، سواء في خلقة الشيء نفسه أو في ارتباطه بما سواه من الأشياء أو بمنظومة النواميس الكونية الدقيقة الشاملة التي أبهرت علماء الطبيعة الغابرين والمعاصرين.

منها ما قيل أن الله سبحانه وتعالى قد جعل انتقال الإنسان في أصل الخلقة من حال إلى حال في أربعين يوماً

كالانتقال من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى العظام ومنها إلى اكتساء اللحم.

عن أبي الحسن عليه السلام: عن حسين بن خالد قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام إنّا روينا حديثاً عن النبي (ص) أنّه قال: من شرب الخمر لم تحسب صلاته أربعين صباحاً، قال: إنّ الله تعالى قدّر خلق الإنسان فصيّر النطفة أربعين يوماً ثمّ نقلها فصيّرها علقة أربعين يوماً، ثمّ نقلها فصيّرها مضغة أربعين يوماً، فهو إذا شرب الخمر بقيت في مشاشه أربعين يوماً على قدر انتقال ما خلق منه، قال: ثمّ قال: وكذلك جميع غذائه أكله وشربه يبقى في مشاشه أربعين يوماً)[1]

وكذلك نجد للعدد باعتباره رمزاً رياضياً أو رمزاً إلى معنى ميدان واسع في الحياة الإسلامية، فمن الأعداد ما اقترن بحوادث تكوينية، أو بقضايا قرآنية، أو عقائدية، أو تاريخية، أو غيرها.

---

(1) (تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ١٠٨).

حيث نواجه في الأحاديث المأثورة عن رسول الله (ص) وأهل بيته الكرام تركيزاً كبيراً في شتى المجالات على هذا العدد، كما أن القرآن الكريم يشير إلى هذا العدد، عند سرده لبعض قصص الأنبياء العظام (ع).

فمثلاً: تحدث القرآن الكريم عن قوم موسى (ع) وتقهقرهم وعودتهم إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال عندما تأخر عنهم موسى (ع) أربعين ليلة وذلك في قوله تعالى: (**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ**)[1]

كما أن القرآن الكريم قد جاء على ذكر قوم موسى (ع) وما لاقوا من العذاب بعد أن رفضوا الانصياع له (ع)، قال تعالى: (**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**)[2]

---

(1) (سورة البقرة، الآية ٥١)
(2) (سورة المائدة، الآية ٢٦)

وذلك بعد أن أمر موسى (ع) قومه بالدخول إلى الأرض المقدسة، ولكنّهم تعنَّتوا وتمرَّدوا ورفضوا الدخول، فتاهوا في الصحراء أربعين سنة.

وفي مجال ثالث يربط القرآن بين بلوغ الأشد وكمال العقل لدى الإنسان من جهة وبين بلوغه للعام الأربعين من عمره من جهة أخرى، وذلك طبعاً حسب قابلية الانسان، كما أنّ جسد الانسان يبلغ كماله في هذا السن، قال تعالى: (**حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ**)(١)

وأمَّا الأحاديث التي جاءت على ذكر الأربعين فهي كثيرة منها:

*ما ورد في استحباب شهادة أربعين مؤمناً بالخير للمؤمن الذي رحل عن الدنيا، عن أبي عبد الله (ع): (إذا مات المؤمن فحضر جنازته أربعين رجلاً من المؤمنين

(١) (سورة الأحقاف، الآية ١٥)

فقالوا اللهم إنا لا نعلم منه إلاّ خيراً وأنت أعلم به منّا، قال الله تبارك وتعالى: قد أجزت شهادتكم وغفرت له ما علمتُ مما لا تعلمون)[1]

*ومنها ما ورد حول استحباب اجتماع أربعين شخصاً من المؤمنين للدعاء والمسألة من الله تعالى، عن أبي عبد الله (ع): (ما من رهطٍ أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عز وجل في أمرٍ إلاّ استجاب لهم)[2]

*ومنها استحباب دعاء الإنسان لأربعين شخصاً من المؤمنين قبل دعائه لنفسه، ومن موارده الاستغفار لأربعين مؤمناً في قنوت ركعة الوتر من صلاة الليل، ومن فوائده أن يتخلص الإنسان من الأنانية ويرسخ داخله روح الإيثار، وأن تفتح أبواب السماء لاستجابة الدعاء، عن أبي

(1) (الخصال، ص ٥٣٨)
(2) (الكافي، ج ٢، ص٤٨٧)

عبد الله (ع): (من قدَّم في دعائه أربعين من المؤمنين ثم دعا لنفسه استجيب له)[1]

*ومنها تأكد استحباب زيارة الإمام الحسين (ع) يوم الأربعين من مقتله، عن الإمام العسكري (ع): (علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين - أي الفرائض اليومية وهي سبع عشرة ركعة والنوافل اليومية وهي أربع وثلاثون ركعة - وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[2]

*ومنها احتباس الوحي عن النبي موسى (ع) أربعين صباحاً، وعن النبي محمد (ص) أربعين يوماً.

*ومنها أنَّ مدة ملك داوود (ع) كانت أربعين سنة.

*ومنها أن آثار الاخلاص لله تعالى تتفجر لدى المؤمن إذا استمر عليه أربعين يوماً، عن أبي جعفر (ع): (ما

(1) (بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣٨٤)
(2) (بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٣٢٩)

أخلص عبدٌ الإيمان بالله أربعين يوماً - أوقال: ما أجمل عبدٌ ذكر الله أربعين يوماً - إلاّ زَّهده الله في الدنيا وبصَّره دائها ودوائها وأثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه)[1]

وعن رسول الله (ص): (ما أخلص عبد لله عزّ وجلّ أربعين صباحاً إلاّ جرت ينابيع - ينابيع وليس ينبوع واحد - الحكمة من قلبه على لسانه)[2]

فالحكمة قد لا تأتي من الدراسة في الحوزة ولا من الكتب ولا من الجامعات، ولكنها يقيناً تأتي من إخلاص القلب لله تعالى.

*ومنها أنّ بعثة خاتم الأنبياء (ص) كانت بعد أربعين سنة من عمره الشريف.

(1) (بحار الأنوار، ج٦٧، ص ٢٤٠)
(2) (ميزان الحكمة، ج ١، ص ٧٥٩)

*ومنها أنَّ أثر بعض الأعمال يستمر أربعين يوماً متواصلة، قال الباقر (ع): (من شرب الخمر لم تحسب صلاته أربعين صباحاً...)[1]

وعن الرسول (ص): (من اغتاب مسلماً او مسلمةً لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً إلاّ أن يغفر له صاحبه)[2]

*ولعل من أبرز استعمالات العدد أربعين المتصلة بالرمز الديني ما ندب إليه (ص) من حفظ أربعين حديثاً حفظاً خالصاً لله تعالى ثم تأديتها إلى الناس نشراً للمعاني الإسلامية وزيادةً في تبصير الآخرين، قال (ص): (من حفظ عني من أمتي أربعين حديثاً في أمر دينه يريد به وجه الله عزّ وجل والدار الآخرة بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً)[3]

(١) (تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ١٠٨)
(٢) (ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٦٣٦)
(٣) (بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٥٤)

كما تشتمل أحاديث الرسول (ص) وأهل بيته (ع) على ذكر الأعداد متصلةً بالمعاني التعبدية والأخلاقية فقد نصّت الأحاديث على تكرار تلاوة آيات أو القيام بأذكار أو أداء عبادات مندوبة معيّنة مرات محددة بالعدد، ويبرز العدد أربعون كواحد من الأعداد التي حظيت باهتمام خاص.

فمنذ القدم وإلى اليوم كان للأربعيّنية في التعبد والانقطاع والرياضة الروحية شأنٌ ملموس في قهر رغبات الجسد وتزكية النفس وتطهيرها وتبلور الارادة.

قال السيد حسن الأبطحي:

(حين ذهبت العام الماضي إلى طهران، لم يكن لديّ متّسع من الوقت للمكوث هناك أكثر من يوم واحد أو يومين، وقد رغب عدد من الأخلاّء أن اشترك معهم في ملتقى عقدوه ليلاً في دار أحدهم، تخلّلت ذلك الملتقى حالة من التوجّه والإقبال، حتى فاضت عليه تجلّيات سخيّة من الإمام صاحب الأمر (عجّل الله تعالى فرجه

الشريف)، إلى حدّ أنّ هؤلاء الأخلاّء لم يكونوا قادرين من فرط الشوق على انهاء الجلسة، وما زالوا كذلك حتى ارتفع صوت أذان الفجر، وقد فازوا تلك الليلة بعطايا جمّة.

قال أحد المشاركين في تلك الجلسة وهو من الشخصيات العلمية المعروفة:

أعتقد أننا لو داومنا على عقد مثل هذه الجلسة عدّة ليال، فإنّ كلّ المشاركين فيها سيصلون إلى مقام الخلوص على أقلّ التقادير، ومن المؤكد أنّ تهيئة مثل هؤلاء الأفراد وإيصالهم إلى هذا المقام يعدّ خدمة للإنسانية، ذلك أنّ رسول الله (ص) قال لأمير المؤمنين عليه السلام: "لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت"(١)

(١) (ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٤٤٣)

لقد كان هدف صاحبي من وراء كلامه هذا أن امكث أياماً أخرى في طهران لمواصلة مثل هذه الجلسات واللقاءات المثمرة .....

قلت له: ليس عدد الحاضرين في هذه الجلسات ثابتاً، فهو يزداد وينقص، بالإضافة إلى أنّهم ليسوا في مستوى روحيّ واحد، لذلك لا يتيسّر أمر تربيتهم وتوجيههم، لأنّ تربية الأفراد على نحو جماعي يماثل كتابة وصفة طبيّة واحدة لعلاج عدّة أفراد، كلّ واحد منهم يشكوا من مرض مختلف.

إنّ الوصول إلى مقام الخلوص يحتاج إلى مسلك خاص بكلّ فرد، لأنّ هناك أشخاص ينطوون على صفات بهيمية فيتعيّن عليهم العمل على تزكية نفوسهم وتهذيبها ليبلغوا مقام الخلوص، كما أنّ هناك من هو معافى من الصفات البهيمية إلاّ أنّه يستبطن رذائل أخرى وهذه ينبغي أن تعالج بطريقة تختلف عن طريقة علاج سابقتها.

ثمّ إنّي من أجل مزيد من الاقناع لصديقي العالم سردت له حكاية شاب فاز بمقام الخلوص، والقصة هي:

قبل عدّة سنوات قال لي شاب اسمه مصطفى يعمل معلّماً: لو تنفق معي كلّ يوم ساعة من وقتك لمدّة عام كامل، تعلّمني فيها أصول العقائد والأعمال الخاصة بتزكية النفس، فإن هذا العمل بلا شك سيكون مفيداً لي ولطائفة من تلاميذي الذين يسألوني عن مثل هذه المسائل، فيكون في ذلك ارشاد وتربية لهم.

أجبته إلى ما أراد، وشرحت له أصول العقائد والأمور المتعلّقة بتزكية النفس، وكان الأمر الذي اعتنى به أكثر من سواه حتى حظي كما ذكر بلقاء الإمام (عج) والارتباط به روحيّاً:

هو أنّه ابتدأ بترك المحرّمات وأداء الواجبات والالتزام التام بالتقوى، كما تعهّد لمدّة أربعين يوماً بأداء عمل واحد.

ومن أمثلة الالتزام الأربعيني الفائق الأهميّة، المواظبة على الأعمال التالية للفوز بالتخفّف من حجاب الدنيا الذي هو أشدّ الحجب ظلاماً في قلب الإنسان:

- صباح كلّ يوم كان يقرأ دعاء التوسّل لطلب حاجته التي هي خروج حبّ الدنيا من قلبه، امّا حاجاته الأخرى فقد خصّص لها أربعينيّات أخرى لاحقة.

- المواظبة على النوافل اليومية مع صلاة الليل.

- يسجد كلّ ليلة قبل الخلود إلى النوم، ويكرر في سجوده ذكر اليونسيّة: "لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين" على الأقل مئة مرّة، مع التوجّه إلى معناها وهو: إلهي أزل حبّ الدنيا من قلبي، فأنت المنزّه لي بعد أن ظلمتُ نفسي وأوقعتها في هذه الظلمات.

وقد كان يقوم بهذه الأعمال وغيرها مستلهماً من الروايات، وقد وفّق ولله الحمد بسهولة ويسر إلى النجاة من هذا المرض الروحي الخطير نجاة كاملة، وهكذا وبعد

الالتزام بعدّة اربعينيات لرفع حجبه المختلفة، كان لا يجترح أدنى عمل يخالف تعليمات النبي (ص) وأهل بيته الطاهرين.

عندها قال صديقي العالم: أليس الالتزام مدّة أربعين يوماً بقراءة دعاء التوسّل وذكر اليونسيّة وأداء النوافل اليومية، مما يخالف تعاليم الاسلام؟

أين ذَكَر أهل بيت العصمة عليهم السلام مسألة الالتزام بهذه الاعمال مدّة اربعين يوماً لا تنقص ولا تزيد؟

قلت له: لقد ثبت بالتجربة أنّ الإنسان إذا أراد أن يظفر بحاجته من الله تعالى، ينبغي له أن يركّز اهتمامه على طلبها مدّة من الزمن، لأنّ الإنسان إذا جعل حاجة واحدة من حاجاته في مركز الانتباه، وأخذ يتوسّل إلى الله تعالى بكلّ مشاعره لقضائها، فإنّه يوفّق على نحو أفضل لبلوغ مراده ....

ثمّ إنّ هناك أحاديث جمّة توّكد أنّ لعدد الأربعين أثراً كبيراً في الاعمال، وعليه فإذا أدّى شخص ما أعمالاً مستحبّة وفق خطّة أربعينيّة، فلا ريب عندئذٍ أنّه لم يأت بعمل يخالف أحاديث الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ذلك أنّ هذه الأحاديث تعتبر مستند المدّة الأربعينية.

في أحد الأيام قصدني في منزلي الكائن في مدينة مشهد المقدّسة، رجل كان يقضي ليالي الاربعاء ولسنوات متمادية بالعبادة في مسجد السهلة بالكوفة، وحكى لي وقائع من تشرّف طائفة من الناس بلقاء الامام (عج) في العديد من ليالي أربعات مسجد السهلة.

فسألته: من خلال تجربة خمسين سنة، قضيت ليالي أربعاتها في مسجد السهلة، ما العمل الذي رأيت أنّه الأكثر توفيقاً للوصول إلى المحضر المبارك للإمام بقيّة الله (روحي فداه)؟

قال: المداومة على أعمال مسجد السهلة لمدّة أربعين أربعاء، فلقد رأيت أكثر من مئة شخص فازوا كلّهم بلقاء

الإمام (عج) بنحوٍ او بآخر، فبعضهم شاهد الامام وما عرفه، والبعض شاهده وعرفه، ولكنّ الإمام تصرّف به، فلم يقدر أن يتفوّه أمامه بشيء، ومنهم من رآه وعرفه ونال من حاجاته ما كان يريد.

أنّ ما قاله هذا الرجل الجليل يؤيّده العديد من كبار العلماء، مثل العلامة النوري، إذ أورد اسماء الكثير ممن حصل لهم شرف اللقاء بالإمام (عج) في عصر الغيبة الكبرى، وقال:

"قد علم من تضاعيف تلك الروايات انّ المداومة على العبادة، والمواظبة على التضرّع والانابة أربعين ليلة في مسجد السهلة، أو أربعين ليلة جمعة في مسجد السهلة أو الكوفة أو الحائر الحسيني، طريق للفوز بلقائه (عج)، وهذا عمل شائع ومعروف في المشهدين الشريفين، ولهم في ذلك حكايات كثيرة، لم نتعرّض لذكر اكثرها، إلاّ أنّ الظاهر أنّ هذا العمل من الاعمال المجرّبة، وعليه العلماء والصلحاء

والأتقياء"(١)

"من دعا إلى الله أربعين صباحاً"

يا تُرى ما هو سر التوقيت الصباحي؟

إنَّ حال هذا الدعاء حال كثير من الأدعية والعبادات التي حُدِّدَ لها وقت معين في اليوم، ووقته الصباح، ولكن هل يقرأ في أيّ وقت من الصباح؟

الأفضل قراءته من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ولا مانع من قراءته إلى وقت الضحى (الضحى: بعد طلوع الشمس بحوالي ساعتين).

ولكن لماذا صباحاً والأفضل أن يكون بعد طلوع الفجر، لماذا ليس في جوف الليل ساعة الخلوة والانقطاع؟

(١) (جنّة المأوى ٣٢٥/٥٣)، (كتاب الكمالات الروحية تحت عنوان تربية التلاميذ وخواص العدد أربعين، ص١٦٠)

لأنَّ جوف الليل مناسب للتوبة والانابة والبكاء، أما عندما يريد الإنسان أن يجدد عهداً فإن المناسب أن يكون ذلك عند الفجر في أوّل الصباح، حيث يستقبل مطلع كل يوم بتذكير نفسه بالعهد مع إمام زمانه، ولذا فإن الأفضل أن يبدأ بقراءته بمجرد أن يفرغ من صلاة الفجر، وقبل أن يبدأ نشاطه اليومي بتعامله مع أسرته أو الناس أو....

ولك أن تتصوّر كيف سيكون يوم هذا الإنسان الذي جعل عهده مع إمامه نصب عينيه مع أوّل الفجر.

((اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول ابدا))

((اللهمّ إنّي))

اللهمّ: أصلها يا الله حذفت الياء وأضيفت الميم في الآخر فصارت اللهمّ، فاللهمّ ويا الله كلاهما له نفس المعنى.

الله: اسم علم لا يطلق إلاّ على الذات المقدسة وهو اسم جامع لكل أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.
إنّي: إشارة إلى نفس الداعي.

ومجيء "إنّي" بعد "اللهمّ" كما في أغلب الأدعية، يحمل معنىً دقيقاً وإشارة لطيفة، هي أنّ هذه الانيَّة المتحدثة لك بالدعاء، والتي هي روحي ونفسي وذاتي منسوبة لك متصلة بك مندكَّة في عبوديتك، لا ترى لنفسها وجوداً مستقلاً، فأنت خالقها ومدبّرها والمفيض

عليها والمطهر لها، ولذا فهي تستمد منك العون والتوفيق في تجديد هذا العهد والوفاء به، لأنها بالاستقلال عاجزة لولا عونك وتوفيقك لها.

((أجدد له))

هل المقصود بهذه العبارة أنّي أعاهده مجدداً لأني نقضت عهدي السابق، فأنا أجدد ما نقضته، أم المقصود بها أنّي يا مولاي على العهد، وكلّ صباح أنا أؤكد عهدي السابق وأوثّقه أكثر فأكثر؟؟

لا ينبغي التردد في الجزم بأنّ المقصود بها المعنى الثاني، أنا لازلت على العهد مولاي وكل يوم يتأكد عهدي وبيعتي لك أكثر فأكثر.

إنّ في هذا المقطع إشارة إلى ما ورد من استحباب تجديد البيعة كل يوم.

واضح كما مرّ عليك أن قراءة دعاء العهد هي في الصباح "في صبيحة يومي هذا" ولكنّ الإمام عليه السلام

يقول بعد هذه العبارة "وما عشت من أيامي" يعني طوال عمري.

إن لقراءة هذا الدعاء والمواظبة عليه يومياً دلالة خاصة، لا لأن التحديد بأربعين يوماً صباحاً يفسر بأنه أقل المطلوب، بل لأن التعامل مع إمام العصر ينبغي أن نعيشه كل لحظة ومع كل عمل وفي كل موقف، وما نفعله كل صباح عند قراءة هذا الدعاء ما هو إلاّ دقائق من التذكير اليومي بمن يرعانا كل لحظة.

ينقل عن السيد مرتضى الحسيني وهو أحد شرفاء مدينة قم المقدسة:

أن الشيخ محمد تقي - رحمه الله - كان يواظب على زيارة مسجد جمكران ليالي الخميس، وذات ليلة شتوية ماطرة شديدة البرودة شعرت بشيء من الخوف والقلق على الشيخ وتمنيت ألا يذهب في تلك الليلة، لم أتمالك نفسي فخرجت قاصداً إلى بيته لكنه لم يكن في البيت فأسرعت مضطرباً إلى مسجد جمكران، كان هناك محتاج

يجلس على قارعة الطريق وبمجرد أن رآني سألني لِمَّ أنت مضطرب؟ قلت: أنا قلق على الشيخ فقد قصد مسجد جمكران في هذا الجو، قال: رأيته قبل ساعات مرّ من هنا ولا أعتقد أنك ستدركه فلربما الآن هو في مسجد جمكران.

رجعت إلى البيت بمزيد من القلق والاضطراب وانشغلت بالدعاء والتضرع ولم أزل كذلك حتى أخذتني غفوة رأيت فيها المولى (عج) فناداني مرتضى لم أنت مضطرب؟ أوَ تظن أني لم أَحِط خبراً بالشيخ! كنت الآن في المسجد فهيأت أسباب راحته وعدت.

((عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبدا))

لعّل أهم سؤال ينبغي أن يطرحه قارئ الدعاء على نفسه ما هو المقصود من هذه الكلمات الثلاث" العهد- العقد - البيعة"؟

كان بإمكان الامام الصادق عليه السلام - هذا الدعاء مروي وموثّق عن الامام الصادق عليه السلام - أن يكتفي بالقول "اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً "، ولكننا نلاحظ أنه استخدم ثلاث كلمات " عهداً وعقداً وبيعة "، فهل هذه الكلمات الثلاث متماثلة في المعنى؟ بمعنى أن بينها ترادف، أم أنها مختلفة؟

هذه الكلمات متفاوتة في "الدلالة الخاصة" وإن كانت متماثلة في الدلالة العامة " الالتزام".

إن المعصومين (ع) لا يستخدمون الترادف في الكلمات، فهم معصومون من ناحية البلاغة والكلام أيضاً حيث أن الترادف كلام عبثي " إذ لامعنى لأن أقول مثلاً شاهدت أسداً وليثاً وضرغاماً " لأنها جميعها تشير إلى معنى واحد خاص وهو الحيوان المعروف، كذلك الامام عليه السلام لا يستخدم ثلاث كلمات كلها ذات معنى واحد خاص، وهذا يعني أن كل واحدة من الكلمات ذات دلالة خاصّة، والآن ما دمنا نهدف من خلال قراءة دعاء العهد أن نجدد عهداً للإمام (عج) فلابد أن نعرف معاني هذه الكلمات الثلاث والفرق بينها وإلاَّ كيف نقول كلاماً لا نعرف دلالاته !!

للعهد في اللغة عدة معان منها:

الأوّل - الوصية، قال تعالى: " **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ**"[1]، أي ألم أوصكم.

الثاني - الميثاق الذي يقطعه الإنسان على نفسه، قال

(١) (سورة يس، الآية ٦٠)

تعالى: "**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**"[1]

الثالث - المعرفة كقولك عهدتك صادقاً أي عرفتك صادقًا.

والعهد في الاصطلاح الفقهي: أن يعاهد الإنسانُ اللهَ تعالى على فعل شيء غير محرم ولا مكروه أو يعاهده على ترك شيء غير واجب ولا مستحب، ولا ينعقد إلاّ بالصيغة اللفظية المقترنة باسم الجلالة كقولك "عاهدت الله" و "عليّ عهد الله" ويجب الوفاء بالعهد الفقهي شرعاً واخلاقاً وإذا خالف أثم وعليه أن يكفّر، وكفارة العهد عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً.

أما الوعد فالوفاء به مستحب شرعاً، ولكنّه واجب من الناحية الأخلاقية - ولذا للإنسان ألا يفي بوعده وليس عليه شيء إلاّ إذا كان من البداية بانٍ على عدم الوفاء فيدخل في شبهة الكذب - قال الامام الرضا عليه السلام: "إنّا أهل بيت نرى ما وعدنا ديناً علينا كما صنع

---

(١) (سورة الإسراء، الآية ٣٤)

رسول الله (ص)"[1]

والعهد شبيه بالعقد المركب من الإيجاب والقبول فالمعاهد يوجب ويعطي عهداً على الفعل أو الترك والله تعالى يقبل منه.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا:

ما المقصود من العهد في هذا الدعاء؟ هل هو العهد الفقهي الذي تترتب على نقضه الكفارة؟

الجواب: كلا، ليس المقصود به العهد بمعناه الفقهي، وإنما اللغوي أي الأمر الذي يلتزم به الإنسان أمام نفسه. هذا بالنسبة الى معنى العهد، وأما العقد فهو في اللغة الربط أي ضد الحل وهو عند أكثر الفقهاء مجموع الإيجاب والقبول، فالعقد يحتاج الى طرفين موجب وقابل كالبيع له طرفان بائع ومشتري.

([1]) (مستدرك سفينة البحار، ج ١٠، ص٣٧٧)

وأمّا البيعة فهي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد إمامه على أن يسلّم له النظر في أموره وأمور المسلمين، ولا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسميّ بيعة.

إنّ أول مبايعة حصلت في تاريخ الإسلام كانت مبايعة الإمام علي عليه السلام والسيدة خديجة للرسول (ص) وذلك بعد الإيمان بالرسالة المحمدية، وبعد البيعة الأولى حصلت بيعتا العقبة الأولى والثانية في مكة اللتين مهدتا - خاصة الثانية منهما - الأرضية المناسبة لهجرة الرسول (ص)، ومن البيعات بيعة الرسول (ص) حينما توجه من المدينة الى بدر، ومنها بيعة الرضوان المعروفة ببيعة الشجرة في السنة الثامنة للهجرة في الحديبية، ومبايعة الرجال والنساء للنبي (ص) بعد فتح مكة المكرمة سنة ثمانية للهجرة، وآخر بيعة حصلت في تاريخ النبي (ص) كانت في حجة الوداع حيث بايع المسلمون الإمام علي عليه

السلام كخليفة ووصي للنبي (ص).
وكانت البيعة تحصل بأن يصفق المبايِع يده اليمنى بيد المبايَع اليمنى علامة على الطاعة والقبول بحكمه ثم أخذت ومع مرور الزمان تتغير الصورة الظاهرية للبيعة حيث أخذت تطلق على العهد والعقد الذي تستلزمه تلك الحركة الظاهرية أعني الصفق بالأكف وهو الرائج اليوم في معنى البيعة.
إذاً نحن أمام ثلاثة أنماط من الإظهار لما في أنفسنا من عواطف خاصة حيال الإمام (عج) حيث نعاهد أنفسنا على نصرته ونعقد معه عقداً على النصرة ونبايعه على ذلك، وهو وإن لم يكن حاضراً أمامنا وجهاً لوجه لنعقد معه العقد أو نبايعه إلاّ أنه حاضر يرانا ويسمعنا بما أعطاه الله من ولاية تكوينية فهو الغائب الحاضر.
إذاً العقد صورة أشد من العهد في الالتزام وأما البيعة والتي هي المرحلة الثالثة فهي تصاعد إلى ذروة العواطف لقارئ الدعاء حيث عاهد نفسه على ذلك ثم أظهر هذا العهد وأكده من خلال إبرام عقد بينه وبين إمامه ثم

تصاعد في تأكيده وتوثيقه الى الذروة حيث مدّ يده لمبايعة إمامه تعبيراً عن أعلى درجات الالتزام والتعهد.

ومعنى هذه الكلمات الثلاث بعبارة مختصرة إن نفسي قد بعتها للإمام (عج) - البيعة مأخوذة من البيع - فروحي ووجودي أقدمها فداءً له وليس عندي أي اختيار في قبال أمره.

((له في عنقي))

هذا تأكيد آخر للبيعة حيث يجعلها القارئ في عنقه، وهذا تعبير بلاغي فيه كناية واستعارة فالعنق هو العضو الفاصل للرقبة عن الجسد وبه تتحقق عملية الإماتة، وهو الذي به تقاد الشخصية إلى حيث يراد اقتيادها عن طريق وضع القيد في عنقها، ومع هذه الخصائص المتنوعة للعنق يصبح العنق رمزاً لتحمل المسؤولية وأن الإنسان مسؤول عن هذا العهد في كل الأحوال، وهذا ما يشير

إليه قوله تعالى: "**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**"[1]، حيث تدل بشكل قاطع على أن أعمال الإنسان والنتائج المترتبة عليها لا تنفصل عنه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

((لا أحول عنها ولا أزول أبداً))

من الحقائق التاريخية المعروفة أن كثيراً من الشخصيات التي بايعت من يستحق البيعة تخلفت عنها لمصلحة شخصية ومنها شخصيات معروفة تاريخياً نقضت بيعتها للإمام أمير المؤمنين وللإمام الحسن ولسيد الشهداء عليهم السلام وهذا يعني أن المبايع من الممكن إذا كان شخصية بداخلها انحراف أو ذات ضعف نفسي أو عقائدي ...الخ أن ينسلخ عن كلامه وعهده ولذلك فإن قارئ الدعاء يستهدف من خلال هذه العبارات الإشارة إلى أنّ بيعته للإمام عليه السلام تتسم بالإحكام والإلزام اللّذين لا سبيل إلى تصوّر خلافهما.

---

(1) (سورة الإسراء، الآية ١٣)

ف (لا أحول) تعني الحيلولة دون التحوّل من مبايع إلى ناكث وهذه درجة من الالتزام بالعهد، فأنا أقول للإمام (عج): مولاي لن أكون كأولئك (لن أتحول من مبايع إلى ناكث) ثم تأتي العبارة الثانية **(ولا أزول)** لتفيد درجة أعلى من الالتزام بالعهد فهي تعني هنا الثبات على عدم التحوُّل، ثمّ تأتي العبارة الثالثة **(أبدا)** لتعطي هذا الثبات على عدم التحوّل صفة التأبيد وأنّ هذا الثبات هو أبداً ما دمت حيا.

إذن هذا الدعاء خطير جداً، وهذه المعاهدة الواردة فيه ليست معاهدة عاديّة، فهي ليست معاهدة مع شخص عادي، إنّها معاهدة مع سيد الكائنات وقطب رحى الوجود ومن بيمينه رُزق الورى، مع من لولا وجوده لساخت الأرض بأهلها، ومن نقض عهده معه فقد وقع في المحذور، وللمولى حقٌ أن يعاقب من نقض عهده معه بما يشاء وما يراه مناسباً.

ينقل أنّ رجلاً من أعيان مدينة طهران كانت لديه زوجتان كلتاهما من نسل الحسين عليه السلام، كانت تحدث بينهما مشاكل كثيرة حيث كانت كل واحدة منهما تتكلم على الأخرى عند الزوج وتشوشه عليها، ذات يوم جلستا معاً وقالتا: يكفينا مشاكل، لا أنا أتكلم عليك ولا أنت تتكلمين علي ونعمل في المنزل معاً، فعاهدتا الله تعالى على ذلك، وجعلتا الإمام الرضا عليه السلام شاهداً وضامناً لعهدهما وطلبتا منه أن يعمي عيون التي تخون العهد.

بعد مدّة بدأت إحدى الزوجتين بنقض العهد فأخذت تتكلم على الأخرى عند الزوج وتثيره ضدّها، مرّت الأيام والزوجة الثانية تلتزم بالعهد، ورغم أنّها كانت تعلم بنقض شريكتها للعهد إلاّ أنّها كانت تصبّر نفسها، إلى أن جاء يوم احترق فيه قلبها، فقالت بقلب محترق: مولاي أنت الشاهد والضامن.

في صباح اليوم التالي استيقظت الزوجة التي نقضت العهد، فوجدت نفسها عمياء، ذهبوا بها إلى أطباء طهران، فحصوها وقالوا إن العين سليمة ولا نعرف سبب فقدانها للبصر، ذهبوا بها للندن وأمريكا و. و ...

كل الأطباء كان لهم كلام واحد أن العين سليمة ولا نعرف سبب عدم وجود نور الإبصار فيها.

عادوا بها إلى إيران وذهبوا بها إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وطلبوا من الخطباء أن يدعوا لها على المنابر وأقاموا لها مجالس توسل، كما ربطوها بالضريح المقدس أربعين يوماً حيث كانت لا تفارق المكان إلاّ لقضاء الحاجة، وكان الشيخ نصير الإسلام قارئها الخاص، وقد أقام لها أربعين ليلة توسل عند رأس الإمام الرضا عليه السلام، وفي اليوم الأربعين خرج نور من الضريح رآه الجميع واتجه الى الصحن وإذا بأصوات الهلاهيل والفرح تنطلق من افواه الزوّار الموجودين هناك.

ما الخطب؟

تبين أن امرأة قروية عمياء، اليوم جاءت مع زوجها إلى الحرم الطاهر، والإمام جعلها تبصر وهي لازالت في الصحن، بعد لم تصل إلى الضريح الطاهر، ثم عاد النور إلى داخل الضريح الطاهر مجدداً دون أن يعيد البصر إلى عيني تلك المرأة، أعادوها إلى منزلها وبقيت عمياء إلى آخر حياتها.

من القصة نعلم عِظم ذنب نقض العهد مع الله ورسوله والأئمة عليهم السلام، فمن كان يرتكب ذنباً وعاهد الله تعالى أو الرسول (ص) أو الإمام عليه السلام على تركه ثمّ نقض عهده فإنه ارتكب بنقضه للعهد كبيرة، وإن كان ذنبه الذي كان عليه من الصغائر، ولذا فهو يستحقّ بنقضه للعهد عقوبات قاسية، وقد مرّ عليك قصّة الزوجتان اللتان جعلتا الإمام الرضا ضامناً على أن تعمى عين من تنكث العهد.

بعد هذا الكلام عن العهد وخطورة نقضه، قد يقول قائل: مالي والعهود؟؟

لا داعي أن أقرأ دعاء العهد من الأساس، ما دامت قراءتي له ستكلّفني ثمناً باهضاً لو نقضت العهد؟

نقول دعاء العهد لا يُبرم العهد، بل يجدّده، إذا التفتنا سنجد أنّ الإمام عليه السلام يقول: (اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي) ولم يقل أعاهده أو أبايعه.

إذن أنا عاهدت وعقدت البيعة سابقاً، وبقراءتي للدعاء اجددها فقط، لذلك ورد أنّه يستحب للإنسان أن يجدد البيعة صباح كل يوم، بل ورد استحباب ذلك بعد كل فريضة ويتأكد أيام الجمعة لما ورد من أن الملائكة تنزل كل يوم جمعة إلى البيت المعمور وتجدد البيعة للأئمة عليهم السلام.

قد تقول: ما هو دليلك على أنّي عاهدت وبايعت الإمام وأنّي في دعاء العهد فقط أجدد العهد والبيعة، أصلاً أنا متى فعلت ذلك؟

دليلي من القرآن الكريم، قال تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**"(١)

إذن هناك عملية بيع وشراء، بيني كمؤمن بالله وبين ربي، لأنّه المهيمن وله الولاية عليّ كعبد، يعني أنا كعبد ليس لي اختيار إذا كنت فعلاً عبد لله، فإذا الله طلب مني مالي ووجودي وكل ما أملك يجب عليّ أن أضحي وأطيع أمر ربي وإلا فلست عبداً.

هذه البيعة بيني وبين ربي تترجم في الأرض بمبايعة الولي، لذلك أُمرنا ببيعة الرسول وبيعة أمير المؤمنين وبيعة الأئمة من ولده عليهم الصلاة والسلام. لذلك ورد في القرآن الكريم: (**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**)(٢)

(١)(سورة التوبة، آية ١١١)
(٢) (سورة الفتح، الآية ١٠)

((اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والممتثلين لأوامره والمحامين عنه والسابقين إلى إرادته والمستشهدين بين يديه))

هنا بيان لمصاديق وأفراد العهد والعقد والبيعة، فبعد أن جدد قارئ الدعاء البيعة للإمام (عج) في المقطع السابق وأكّد بيعته، في هذا المقطع بيان ما تمّت عليه البيعة، وبعبارة أخرى: على ماذا بايع؟

عندما يقول الانسان المؤمن **(اللهم اجعلني...)** معنى ذلك أنه يتبرأ من حوله وقوته ويقول يا رب أنا أسعى أن

أكون كذا، ولكن أنت اجعلني، فأنت يا رب المتصرف في الانفس والآفاق، أنت الذي كل ما في الوجود طوع أمرك، فجسدي ونفسي وروحي التي هي من جزء من عالم الوجود هي أيضاً تحت تصرفك، فتصرف فيّ بما تشاء قلباً وقالباً، جسداً وروحاً، ظاهراً وباطناً.

فأنا بدون عونك عاجز عن أن أفيّ بعهدي وعقدي وبيعتي، أنا عاجز بجهدي أن ارتقي إلى هذا المقام العظيم الذي أتمناه وارغب فيه، ولكن أنت بقوتك قوّني، أنت بهدايتك اهدني، أنت بعطفك أفض علي وأكرمني، أنت بعونك أعنّي يا معين من استعانه يا مقوّي من استقواه يا وليّ من استولاه.

ما هو الفرق بين الناصر والمعين؟

أنصار: جمع ناصر ونصير بمعنى اتباع ومدافعون.

أعوان: جمع عون بمعنى المساعد والمساند. وربّما يفرّق بينهما والله العالم بأن الناصر يكون في المعارك التي يخوضها الامام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)

فالإمام سيخوض معارك قوية حتى مع ابليس وأعوانه. وأمّا المعين فهو الذي يعين الإمام ويساعده (سواء كان قبل الظهور كالأبدال أو بعد الظهور) في ادارة شؤون الدولة الإسلامية وتنفيذ المهام الخاصة ونحو ذلك، كالإصلاحات الواسعة التي سيقوم بها والمشاريع العمرانية و.....

من هم أنصار الامام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وأعوانه؟

الفئة الأولى: السفراء الأربعة في عصر الغيبة الصغرى.

الفئة الثانية: الابدال الذين يعملون معه (عج) في غيبته، وهؤلاء الابدال تجري عليهم القوانين الطبيعية حيث لا يُمدّ في عمرهم، بل يعيشون عمرهم الطبيعي حتى إذا مات أحدهم استبدل به غيره، من هنا سمّوا بالأبدال، نعم ربما يُمدّ في عمر أحدهم بأن يدعو له الإمام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) وهذا أمر آخر.

قال الامام الصادق (عليه السلام): "لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولابدّ لغيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبه وما بثلاثين من وحشه"[1]، هؤلاء الثلاثين هم الابدال المباشرين، والا فالواحد منهم قد يكون تحته عدة أشخاص.

يقول الشيخ الكوراني أن شخصاً ثقة أخبره أن بينه وبين الامام (عج) سبعة أشخاص.

ولكن كيف يتمّ اختيار هؤلاء الابدال؟

الجواب: أن الإمام (عج) يختارهم بتسديد من الله عز وجل، فهو المطّلع على أعمالنا والأقدر على معرفة الأصلح منّا لهذا المقام العظيم

ينقل أحد الأشخاص أنه سمع من المرجع الوحيد الخراساني أنّ رجلاً عجوزاً متديناً كان يعمل في مدرسة دينية في تبريز، وكان مثالاً للإنسان المحب الخدوم الملتزم

(١) (الكافي، ج ١، ص ٣٤٠)

بالآداب، كان يخدم الطلبة رغم أن ذلك لم يكن واجباً عليه، وكان صامتاً قليل الكلام.

أحد طلبة تلك المدرسة الدينية نقل عنه أنه قال: في ليلة من الليالي رأيت نوراً غير عادي في غرفة الخادم، فذهبت ووقفت بالقرب منها، فسمعت صوت الخادم يتكلم مع شخص آخر لكنّي لم اسمع صوت ذلك الشخص الآخر.

بعد قليل انطفأ النور، ذهبت ودققت الباب على الخادم، وقلت له: يا فلان من كان معك؟ هل كان المولى صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عندك؟ فقال العجوز: أنا أين والامام أين؟ من أنا حتى يكون الامام عندي! فألححت عليه وقلت له: إن لم تخبرني سأكشف أمرك لكل الطلبة. فقال العجوز: إن كان ولابد اقول لك ولا يلزم أن تخبر الطلبة، ولا أدري لماذا أطلعك الله تعالى على هذا الأمر.

أخبروني أن أحد الابدال توفي، وأنهم اختاروني بدلاً عنه. فسألته: ومتى يأخذوك؟ قال الخادم: واعدوني يوم الجمعة ظهراً بعد الأذان.

قال الطالب: فصار عملي مراقبة ذلك الخادم، في حين أنه كان على وضعه في اهتمامه بالمدرسة وعبادته وصمته، إلى أن جاء يوم الجمعة، في صباح الجمعة قام الخادم بما عليه من وظائف للمدرسة ولمّا صار الوقت قريباً من الظهر غسل ثيابه وحذائه وتركها تجف ثم اغتسل ولبس ملابسه التي طهرها ونظفها، ولمّا أذن المؤذن كان أمامي وبمجرد أن تمّ الاذان اختفى.

فأخذت أصيح فلان ذهب، الآن اخذوه. فسألني بقيّة الطلاب عمّا أقول، فأخبرتهم، فبحثوا عنه في كل مكان لكنّهم لم يجدوه، ولم يره أحد بعد ذلك

(صفات الأبدال)

الذي يختار ليكون من الابدال عنده: يقين، بصيرة، وضوح، إطاعة، صمت، كتمان، وغيرها من الصفات اللازمة لهم.

(عمل الأبدال ووظيفتهم)

الأبدال هم أصحاب المهمات الخاصة، فبالمقدار الباقي لهم من عمرهم توكل إليهم مهمّات، يلتقي بهم الإمام (عج) ويوكل إليهم المهام.

فالإمام (عج) عنده برنامج ينزل في ليلة القدر من كل عام في أمر الناس وفي أمر نفسه وفي أمر الكون وما يجري فيه، وهؤلاء الابدال ينفذونه بأمر الامام (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

هؤلاء لديهم الاسم الاعظم والقدرة على طيّ الأرض فلا يحتاجون إلى جوازات عبور ولا إلى تذاكر سفر، كل واحد منهم لديه جزء من برنامج الامام عليه السلام لينفذه.

كيف؟

لا نعرف، لأن هذه المسالة أعمق من فهمنا وادراكنا، فهم يتدخلون في الامور الكبيرة والصغيرة، فيما فيه مصلحة الامة في دينها ودنياها.

سئل الامام الصادق عليه السلام عن طبيعة عمل الامام (عج) في زمن الغيبة؟ فقال (عليه السلام) - بما في معناه- أنّ استيعاب طبيعة عمل الإمام صعب، ثم ضرب مثلاً بالخضر (ع) وأن الذي يريد أن يعرف ماذا يعمل الامام عليه السلام والابدال وجنود الله الذين يعملون معهم، ينظر إلى ما ذكره القرآن الكريم عن عمل الخضر (عليه السلام) فقد كشف القران الكريم عن جانب من عمل الخضر وان نبي الله موسى عليه السلام لم يستطع أن يتحمل برنامج عمل الخضر (عليه السلام) وهو نبي من أولي العزم.

وكما كان عمل الخضر (عليه السلام) كله لمصلحة المؤمنين، بالمثل يكون عمله (عجل الله تعالى فرجه

الشريف) مع الابدال والخضر (عليه السلام) - حيث لا شك أن الخضر (عليه السلام) من أصحاب الامام (عج) في غيبته، عن الإمام الرضا (عليه السلام): أن الخضر (عليه السلام) شرب من ماء الحياه فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور وإنه ليأتينا فيسلم فنسمع صوته ولا نرى شخصه، وإنه ليحضر ما ذكر فمن ذكره منكم فليسلم عليه وإنه ليحضر الموسم كلّ سنة فيقضي المناسك ويحضر عَرفة فيؤمنّ على دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته)[1] - وجنود الله تعالى الذين معهم، فعملهم هو أن يسوقوا المجتمع البشري إلى أن ينضج ويصل إلى مرحلة الظهور.

الفئة الثالثة: الاصحاب وهم (٣١٣)، وهذا العدد مروي عند السنة والشيعة، ولا نعلم ما هو السر في هذا العدد فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوم بدر (٣١٣) رجلا، وعدد أصحاب طالوت

(١) (مسند الإمام الرضا (ع)، ج ١، ص ٦٩)

النبي الذين تجاوزوا معه النهر (٣١٣)، وهكذا سيكون عدد أصحاب الامام (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وهؤلاء هم خيرة أهل الارض يومذاك، وقد توفرت فيهم اللياقة والكفاءة لإدارة الكرة الارضية، كلّ ذلك تحت قيادة الامام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) وهؤلاء الصفوة يختارهم الله تعالى من بلدان عديدة، ومن قوميات مختلفة، ونواحي متعددة، وقارّات وأقاليم مختلفة. وقد ذكرت بعض الروايات أسمائهم، ولكنّ هذه الروايات ضعيفة السند.

وهؤلاء أرقى من الأبدال، وقد ورد فيهم مدح كبير من الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حيث قال: "آه شوقاً إلى إخواني، قالوا: أولسنا إخوانك، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إخواني قوم يأتون في آخر الزمان لم يسبقهم الأوّلون ولا يلحقهم الآخرون"[١]

(١) (كلمة الإمام المهدي، السيد حسن الشيرازي)

هذه العبارة تدل على خصوصية وليس على أفضلية، وهناك فرق بين الخصوصية والافضلية، فليس دائماً خصوصية أمر توجب افضليته، فمثلاً: سيد الشهداء عليه السلام له خصوصية لكنّها لا تجعله أفضل من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، ولا أحد منّا يلتزم بذلك.

نعم، له خصوصيات منها أنّ الشفاء في تربته، والدعاء مستجاب تحت قبته، والائمه من ذريته.

ولكن لماذا اختصّ الرسول (ص) أصحاب الإمام (عج) بأنهم (لم يسبقهم الاولون ولا يلحقهم الآخرون)؟

لأنهم آمنوا به (عج) إيماناً قويّاً راسخاً بالرغم من أنهم لم يروه.

تارة أنت تعاصر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أو الامام (عليه السلام)، بكل جماله وروحانياته ومعاجزه، وهذا القرب الواقعي من المعصوم يوجب

للمؤمن مزيد تقوى وإيمان وارتقاء، أمّا هؤلاء فقد آمنوا بالنبي (ص) بعد مئات السنين من بعثته المباركة، ولم تحجبهم غيبته (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عن الالتصاق به فهم معه في كل لحظة، كأنهم يرونه.

إنّ هذه الخصوصية لم تكن لأحد من أصحاب الائمه (عليهم السلام) أو الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لكنها لا تجعلهم أفضل الأصحاب مطلقاً، خصوصاً ونحن نسمع قول سيد الشهداء (عليه السلام): "أما بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي..."[١].

وهؤلاء يطلق عليهم الأصحاب، أصحاب الامام (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وهم الذين عبّر عنهم الامام الصادق (عليه السلام) بأنهم "أصحاب الألوية" إشاره إلى توفر المؤهلات فيهم لقيادة الجيوش والعساكر، وعبّر عنهم أيضاً بقوله:" وهم حكام الله في أرضه"[٢]، ولكلّ واحد

(١) (الإرشاد، ج ٢، ص ٩١)
(٢) (معجم أحاديث الإمام المهدي، ج٤)

منهم دور كبير في قيادة الجيوش وفتح البلاد وإدارة الامور وغير ذلك، ويجمعهم الله تعالى للإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في ليلة واحدة.

الفئة الرابعة: الانصار وهم المؤمنون الصالحون الذين يلتحقون بالإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وينضوون تحت لوائه.

فمنهم من يختارهم ويضمهم إليه في مكة المكرمة ويتحرك بهم إلى المدينة، وهؤلاء بين ١٠٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠.

ومنهم من يقبلهم في جنده ويتحرك بهم من المدينة إلى النجف وهم قد يبلغون خمسون الفاً.

ومنهم الذين يقبلهم في مسيرته إلى الشام والقدس وهم ألوف وقد يكونون مئات الألوف[١] .

(١) (ملاحظة: الأعداد الواردة ليست دقيقة

الفئة الخامسة: الانصار الذين يخرجون من قبورهم وبينهم أشخاص من أصحاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وأصحاب الائمه (عليهم السلام) قد استحقوا أن يكونوا بهذه الدرجة، ومنهم أشخاص ممن كانوا يداومون على قراءة دعاء العهد، بل منهم أشخاص من الامم السابقة أيضاً كما ورد في الروايات أنّ أصحاب الكهف سيكونون من أنصاره بعد ظهوره المبارك (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، إذ لا توجد روايات تدل على أنهم من أعوانه حال غيبته كما ورد في الخضر (عليه السلام).

حيث يختار الله تعالى نوعيات مختلفة من الناس ومن عصور مختلفة ينشق عنهم التراب ويخرجون، وسياتي مزيد حديث عنهم.

كلّ هذا عدا أنصاره من الملائكة والظواهر الكونيّة.. إنّ الفوز بنصرة الامام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) هو فوز لا مثيل له لأن أثره غير مختص بعالم الدنيا فمن يكتب له التوفيق لهذه النصرة فهو من المؤمنين الفائزين

يوم القيامة بشكل قطعي لا يحتمل الترديد أو التشكيك، فنصرة إمام الزمان المفترض الطاعة هي الباب اليقيني للولوج إلى رضى الله سبحانه وتعالى والفوز بجنته.

لذا على المؤمن وهو يدعو الله تعالى أن يجعله من الأنصار أن لا يزهد في المقام الرفيع عند الامام (عج) إذ أنّ عليه أن يطمح ويطلب بلوغ أعلى مراتب النصرة والعون وأن يكون من قادة الجيوش والاعوان المقربين، صحيح أنه كما يقال من زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز الاّ أنّه بعد دخول الجنة يبدأ المؤمن بالتحسّر والتفكير بأهمية أن يكون صدّيقاً او شهيداً أو أن يكون رفيقاً للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام)، الأمر نفسه بالنسبة إلى زمن الظهور، حيث يرجوا المؤمن الآن أن يفوز بنصرة الإمام (عج)، لكنّه في ذلك الزمان لو وُفّق للنصرة فإنه حينها سيتمنى لو كان من القادة وكبار الشخصيات في دولة الامام (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وهنا على الانسان أن يلتفت إلى نقطة جوهرية وهي أنّ هذا الطموح العالي يحتاج إلى همّة عالية وعمل بمقدار الطموح، بأن يوظّف الانسان الحالة الدُعائية توظيفاً واعياً ومتحركاً يغيّر من حياته ويجعله القادم من العالم الآخر فعلاً، لا أن يكون شغل الإنسان الدعاء فقط دون أن يحرّكه الدعاء نحو التغيير والعمل، ورب العالمين عادل لا يعطي هذه المقامات جزافاً. مضافاً إلى أن الامام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عندما يظهر سوف يحكم بين الناس بحسب الواقع ويصنّف الناس تبعاً لحقائقهم ومستوياتهم الخُلقية والعلمية والدينية، أي على قاعدة المستويات الواقعية لا الظاهرية..

ومن هنا على المتعهد والمبايع أن يتعرّف على أوصاف هؤلاء الانصار ويحاول قدر جهده أن يتصف بها متدرجاً في ذلك إلى أن يصل إلى أعلى مستوياتها.

وهذه الأوصاف هي تابعة للمهام التي أوكلها الله تعالى للإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، فهناك ملازمة

بين المهام الموكلة للإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وبين خصائص الانصار وأوصافهم.

إنّ من جملة المهام الاساسية التي أُوكلت للإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

(١) إقامة دين الله واظهاره على الدين كله.

(٢) إقامة دولة العدل الالهية على الارض كلها للمرة الاولى والأخيرة في تاريخ البشرية.

(٣) الثأر لجميع الانبياء والاولياء والمظلومين.

(٤) الثأر والانتقام من خصوص الذين ظلموا أهل البيت (عليهم السلام) لا سيما السيدة الزهراء (عليها السلام) والامام الحسين (عليه السلام).

(٥) تقويم مسار البشرية والتحوّل بها من التسافل إلى التكامل.

(٦) إحلال الامن والسلام والطمأنينة على العالم أجمع بما ينتهي ويؤدي إلى استقرار جميع الموجودات والكائنات.

من هذه المهام يمكن استفادة الاوصاف التالية لأنصار الإمام (عج):

(١) الربانيّة وهي تعني التقوى والورع والاستقامة (الالتزام بالواجبات وترك المحرمات) في أعلى درجاتها ومستوياتها، فهم (الصلحاء).

(٢) (النجباء) فهم على درجة عالية من النقاء والطهر والصفاء الداخلي.

(٣) (الفقهاء) لديهم فقاهة في الدين، وليس المقصود بالفقاهة معرفة خصوص الاحكام الشرعية فهي جانب من الدين فقط، بينما الدين عقائد واخلاق وأحكام، وعليه يكون المقصود من الفقاهة الفهم العميق للدين والمستوى العالي من المعارف.

(٤) (رهبان الليل) لا ينامون الليل لهم دوي كدوي النحل في صلاتهم وعبادتهم.

(٥) (ليوث النهار) قلوبهم كزبر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله، اشداء أقوياء لا يرهبون الاعداء لو طلب منهم ان يقلعوا الجبال من مكانها لأزالوها.

إنّ نصرته (عليه السلام) في هذا العصر تتمثّل في نصرة دين جده (صلى الله عليه واله وسلم) وأقلّ مراتبها فعل الواجبات وترك المحرمات، وإذا أخلّ شخص بهذا العهد فقد اخلّ برباط مهم بينه وبين الامام (عج)، لأنه وضع نفسه في موضع لا يحبه الامام (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، فكأنّ الإمام (عج) يقول له بلسان الحال بيني وبينك عقد وعهد وبيعة أن تنصرني ولا تخذلني وأنت الان تخذلني.

لفتة:

يحكى أن رجلاً جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) شاكياً إليه أنه يحب يُقريء الضيف لكنّ زوجته تكره ذلك وتعكر عليه، فقال (صلى الله عليه واله وسلم): "قل لها أنّ الضيف إذا جاء جاء برزقه وإذا ارتحل ارتحل بذنوب أهل البيت" أي أن الله تعالى سيضيف في رزق أهل البيت ما ينفقونه في إقراء الضيف ثم إذا صرف عنهم بعد ذلك وارتحل ارتحلت ذنوب أهل البيت معه.

يقال إن الرجل عاد ثانية إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وأخبره أن ذلك لم ينفع معها فأمره (صلى الله عليه واله وسلم) أن يمسح بيده على وجهها إذا حل الضيف، وفعل الرجل ذلك فأصبحت المرأة تتمنى اقراء الضيف بعد ذلك لأنها رأت الامور التي أخبر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بها زوجها على حقيقتها وكيف أن الضيف يدخل الدار ترافقه انواع الأطعمة ويُخرج معه

الاوساخ والعقارب والحيات التي هي ذنوب أهل البيت (١).

من هذه القصة نستفيد أن الذنوب قاذورات وأوساخ وحيات وعقارب تحيط بنا من الرأس إلى القدم.

تقريب/

لو دقّ عليك شخص الباب وعندما فتحته رأيته كريه المنظر والرائحة لكثرة ما علق به من القاذورات والاوساخ والديدان والعقارب، فهل ستسمح له بالدخول او بلقائك ورفقتك؟ كلا بالطبع.

إنّ الذنوب العالقة بلساننا وأعيننا وآذاننا وأيدينا وأرجلنا، وبطننا، وفكرنا، مانع من التشرف بلقاء الطهر الطاهر فضلا عن التوفيق للنصرة.

لأن الارواح النجسة غير لائقة بلقاء الإمام، والاعين الخاطئة لا تستحق أن تطل على حضرته، وأنّى للشفاه

(١) (بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٤٦١، بتصرّف)

التي صدرت منها آلاف المعاصي أن تتشرف بتقبيل يده الكريمة.

((اللهم اجعلني من أنصاره واعوانه والذابين عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والممتثلين لأوامره والمحامين عنه والسابقين إلى إرادته والمستشهدين بين يديه))

((والذَّابين عنه))

ما معنى الذَّب؟؟

الذَّب: يعني المبالغة في الدفاع يعني حالة دفاع ليست اعتيادية.

في معركة أحد عندما خالف المسلمون أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونزلوا من على الجبل مما أدّى إلى صعود المشركين عليه فانهزام المسلمون ولاذوا بالفرار، وتركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحيدا إلاّ مع بضعة اشخاص، من بينهم امرأة تدعى أم عماره هذه

المرأة شهدت معركة احد مع زوجها وولديها وكانت وظيفتها في المعركة مداواة الجرحى وتطبيبهم وسقيهم الماء، لكنها لمّا وجدت المسلمين قد تفرقوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتركوه وحيداً لم تفر ولم تنهزم كما فعل أغلب الرجال بل أخذت تدافع عن نبي الاسلام و تدفع الطعنات والضربات عنه ببسالة منقطعة النظير، حتى قيل أنها أصيبت باثني عشر جرحاً في تلك المعركة.

لا تذهب بعيداً تعال إلى كربلاء، سعيد الحنفي ذلك الإنسان العظيم الذي عندما حان وقت الصلاة وقف أمام سيّد الشهداء (عليه السلام) وجعل من جسده درعاً له واخذ يستقبل السهام بصدره فادياً امامه بنفسه، شامخاً، ثابتاً، راسخاً لم يتحرّك رغم آلام الجراحات حتى أنهى الامام صلاته فسقط سعيدٌ على الارض يشخب بدمه الطاهر وهو يقول (اللهمّ العنهم لعن ثمود، اللهم ابلغ نبيك عني السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإني أردت ثوابك في نصرة ذرية نبيك)

وأنا القاريء لدعاء العهد أسئل ربي في هذا المقطع أن أكون من الأشخاص الذين يدافعون عن المولى (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) دفاعاً مستميتاً.

((والمسارعين إليه في قضاء حوائجه))

هنا الامام (عليه السلام) يلفت نظر قاريء الدعاء في هذه الفقرة إلى نقطة مهمة فالإمام لم يقل والمسارعين (إلى) قضاء حوائجه، بل قال والمسارعين (إليه) في قضاء حوائجه.

ولكن ما الفارق بينهما؟

لتوضيح الفارق بينهما نقول : تارة أنا اجلس وانتظر الإمام يطلب مني أن اقوم بعمل معيّن فأسارع إلى تنفيذه، وتارة أنا بنفسي أذهب إلى الامام واطلب منه أن يكلّفني بمهمة، هذه العبارة (والمسارعين اليه ...) تتحدث عن النوع الثاني فالإمام الصادق (عليه السلام) يطالبنا أن ندعوا الله تعالى بأن يوفقنا لأن نكون ممن لا ينتظر إلى

أن يطلب منّه الامام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) القيام بعمل ما، وإنما أن نكون ممن يُسارع اليه، لأنه (عليه السلام) ليس بحاجة لنا بل نحن من نحتاج إليه لأنّ في خدمته أكبر شرف وتوفيق لنا، وهذه لفتة لها أهمية كبيرة.

((والممتثلين لأوامره))

هذه العبارة مرتبطة بالعبارة السابقة، فما دمت أنت قد طلبت من الله تعالى أن يجعلك من المسارعين إلى الإمام، الذين يطلبون منه قبل أن يدعوهم هوَ، فأنت في هذه الفقرة تطلب من الله سبحانه وتعالى أن يجعلك من الممتثلين لما يأمرك به الامام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

لماذا؟ وهل يُعقل أن أطلب من الإمام أن يكلفني بمهمة ثمّ أتخلّف عن امتثال الأمر؟

نعم، لأن الإنسان احياناً قد يُفاجأ بالمهمة المعطاءة إليه أو يجدها ثقيلة أو لا يستطيع أن يمتثلها.

إنّ من الحقائق المعروفة في حقل السلوك البشري، أنّ الإنسان قد يكون مشحوناً بعاطفة قويّة عندما يكون في وقت وزمان الدّعة والراحة - في الوقت البارد كما يقولون - لكن في اللحظة الحرجة إذا نزل إلى الواقع العملي والساحة الحقيقة للاختبار، عندما يفاجأ بشدائد الحرب أو بشدّة المسؤولية الملقاة على عاتقه، أو المهام الموكلة اليه قد يتردد أو يمتنع من القيام بذلك الأمر من الأساس، وهذا هو بالضبط ما حصل للبعض ممن كتب إلى الامام الحسين (عليه السلام) يدعوه للقدوم ولمّا اصطدم بالواقع امتنع عن النصرة.

لذلك وردت التوصيات الارشاديّة لنا بالتوسل الدائم إلى الله تعالى من أجل أن يثبتنا على الميثاق والعهد والبيعة التي وضعناها في اعناقنا.

إنّ سبب التردد أو الامتناع قد لا يكون لِلّبس، أو لعدم وضوح الموقف لأن النصوص تؤكد أنّ الامر عند ظهور الامام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) سيكون

في ظهوره أسطع من الشمس، إلاّ أنّ ضعف نفس الانسان هو من سيتسبب في تردده أو امتناعه.

القرآن الكريم يعطينا كشّاف ومقياس ينبغي للإنسان أن يعرض نفسه عليه في كل وقت، وهو قوله تعالى ((**قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**))[1]

إنّ علامة كون الانسان فانياً في ذات الله، أن يكون لقاء الله محبوباً لديه وهذا أعلى درجات الايمان، أفضل كشّاف إذا أراد الانسان أن يكتشف نفسه أن يعرضها على هذا الميزان، يقول أنا أحب الصلاة والصيام، الحج والزكاة والخمس ...، احضر المجالس وأساهم في إقامة الشعائر لكن لو قُدّر أن حمي الوطيس وجدّ الجد وقامت الحرب على ساق ودعاني من لا يُشَك في شرعيته، وأنا متعلّق بالدنيا ولديّ زوجة وأولاد و أموال ومقام و.، هل ستسمح لي نفسي بالمفاداة أم لا ؟

---

(١) (سورة الجمعة، الآية ٦)

هذا المقياس على الانسان أن يستخدمه دائماً ليختبر قلبه، إذا فعلاً هو متهيئ فإنّ قلبه لا يخاف عندما يذكر الموت وفراق هذه الحياة الدنيا.

على الإنسان أن يعيش هذا الهاجس في داخله يومياً ويعرِض نفسه على ذلك الكشّاف باستمرار، لأن الانسان إذا جلس بينه وبين نفسه قد يتمنى الاماني ويتصوّر انه على اهبة الاستعداد وانه على جانب كبير من الايمان والاستعداد لعمل ايّ شيء يطلبه منه الامام، لكنّه لا يدري حقاً إذا وُضع على المحك كيف سيكون تصرفه وسلوكه.

إذ قد توجد في داخل نفس الانسان خبايا حتى هذا الكشّاف لا يستطيع كشفها، لأن الكشّاف المذكور نسبي، يعني، حتى لو الانسان بينه وبين نفسه تصوّر هذه الدعوة الشريفة له من الامام ووجد في نفسه الاستعداد، فليس بالضرورة أنه إذا حانت ساعة الاعانة أو النصرة واقعاً أن يثبت، مما يعني أنّ احتمال التخلّف

يبقى قائماً، لأن التقدير والافتراض غير الواقع الميداني حيث يتعرَّض الانسان إلى امتحانات صعبة.

إليك هذه القصة كشاهد..

كان هناك شاب من الصلحاء، حقيقة كان في قمة الصلاح، بحيث لم تصدر منه لا غيبة ولا نميمة، ولا تهمه، لا حقد، لا حسد، ولا نظرة محرمه إلى اجنبيّة وكان قلبه يهوى ويرغب ويصبو ويحنّ إلى اللقاء بالمولى صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف).

فانقطع إلى أهل البيت متوسلاً وقضى لياليه الطوال بالعبادة متبتلاً، فكان يطيل الركوع والسجود وذات نهار وبينما كان ساجداً حصلت له حالة انقطاع كبيره، في تلك اللحظة وهو في حال السجود لا ندري هل صارت له مكاشفة أم أنه نُقل نقله ماديّه إعجازية حقيقية إلى الجزيرة الخضراء أو إلى مكان آخر، ونحن هنا نقتصر على الاحتمال الأقل فنقول انّه حصلت له مكاشفة، وإذا به يجد نفسه في مكان لا أجمل منه ولا أبهى، وإذا برجل

مندوب من قبل الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) يأتي ويستقبله باحترام ويدخله في دار كمقدمة لكي يلتقي بالإمام (عليه السلام) - هكذا بدا الأمر للشاب - ثمّ قال له يا فلان: أنت لازلت في مراحل الاستعداد للقاء الإمام (عليه السلام).

يعني أنك بعد لم تبلغ درجة الوصول إلى اللقاء وهناك مجموعة من الشروط يجب أن تتوفر فيك حتى تستطيع لقاء الإمام (عليه السلام)، منها أن تتزوّج، لأنك ناقص الايمان (ورد أنه: من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر)[1]

هذا الشاب أخذ يسأل مندوب الامام: أنا الان وصلت إلى هنا ولم يبق بيني وبين لقاء الإمام إلا القليل وانت تقول لي تزوج، وكيف لي ذلك وأنا في هذا المكان؟؟

(1) (ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١١٧٩)

فرد عليه مندوب الامام: ليس هناك مشكلة، أنا لديّ بنت سأزوجك إياها، ثُمّ إنّ هذا المندوب أخذ من الشاب وكالة وأجرى عقد الزواج، فصارت بنت المندوب زوجة للشاب، لحظات وأُدخلت الفتاة على الشاب وإذا به يراها كفلقة القمر من الجمال، كان جمالها لا نظير له.

جلس الشاب مع زوجته بعض الوقت، ثمّ عاد المندوب ليخبره بأن المولى صاحب الزمان قد أذن له باللقاء، ولكن العجيب انّ الشاب قال للمندوب: فلينتظر الإمام قليلاً.

مرت بعض الدقائق الأخرى وهو في غاية السعادة بمجالسة زوجته وإذا بالمندوب يعود مجدداً: فلان الإمام لازال في الانتظار فرد عيه الشاب: فلينتظر الإمام فترة اطول.

وبمجرّد أن قال ذلك وإذا به يجد نفسه في حالة السجود التي كان عليها.

يعني إذا كنا نحن قد اغتبنا أو حسدنا أو حقدنا أو..، هذا الشاب كان نقياً تمام النقاء ولذا كان يتصور أنه صار على أتمّ الاستعداد للقاء الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) ولكن الإمام المطلّع على خفايا القلوب أراد أن يخبره من خلال المكاشفة، أنك ايّها الشاب بعدُ لم تصل إلى مستوى اللقاء، لأن في قلبك شيء انت ترّجحه عليّ وإن كنت لا تدري، فامتحنه بالزوجة، فهو لم يطلب منه الخروج للشهادة أو بذل المال، بل دعاه للّقاء الذي كان يسعى له وينتظره منذ زمن.

لذلك علينا أن ندعو الله العالم بخفايانا وما تنطوي عليه دواخلنا دعاء الغريق ونتوسل اليه بإلحاح أن يُثبّتنا على العهد والميثاق وان يعيننا على تهيئة أنفسنا لنكون من المستشهدين بين يدي الامام المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، وإن كانت هناك حواجز نفسيه تمنع من ذلك أن يوفقنا لمعرفتها ومن ثمّ لإزالتها.

((والمحامين عنه))

في إحدى فقرات الدعاء السابقة وردت عبارة (الذّابين عنه) أمّا في هذه الفقرة (المحامين عنه) إذن هناك فرق بين الذب وبين المحاماة، نعم كلاهما دِفاع عن الامام (عليه السلام) لكن الذب يعني الدفاع العسكري في المعركة، أمّا المحاماة فهي عموم الدفاع، فالإمام (عليه السلام) لديه مهمه إصلاحيّه عظيمة ونجاح هذه المهمّة يتوقف على وجود من يحامي عنها بمختلف الوسائل يعني أنا أسئل الله تعالى في هذه الفقرة أن يجعلني ممن يُدافع عن المولى ومهمته بكل الوسائل والطرق.

((والسابقين إلى إرادته))

في كربلاء المقدسة ضرب أنصار سيد الشهداء (عليه السلام) اروع الأمثلة التي يعجز العقل عن استيعابها، حيث كانوا يتسابقون إلى الموت فداء لسيد الشهداء (عليه السلام).

في هذه الفقرة من الدعاء إشاره إلى التسابق والتنافس الإيجابي الذي يجب أن يسود المجتمع المؤمن تجاه تنفيذ أوامر الامام (عليه السلام)، وفيها أنا أطلب من الله تعالى أن أكون من السابقين إلى إرادة الإمام، ألا اتقاعس، ألا اتباطأ أو أتراخى، أن لا اوكل المهمة المعطاة لي إلى شخص آخر.

وهكذا تتسلسل فقرات الدعاء في الطلبات والرغبات التي يطلبها الداعي من ربه حتى يصل إلى قمة الطلبات ...

((والمستشهدين بين يديه))

هذه أقصى وأعلى غاية أنا اطلبها من الله تعالى على الاطلاق، أن تزهق روحي بين يدي الإمام صلوات الله وسلامه عليه، فأكون من شهداء معركة الاصلاح.

((اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرداً قناتي ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي))

كل إنسان في هذه الحياة الدنيا له أهداف، هي التي تحركه وتحدد مسار حياته، ومقدار المساعي والجهود التي يبذلها، فتكون كل جهوده منصبّة باتجاه تحقيق تلك الأهداف.

ولكنّ مشكلة الانسان تكمن في أنه لا يعرف ما هو الهدف السليم الذي ينبغي أن يسعى إليه، فإما أن يتخذ لنفسه هدفاً لا قيمة له فهو بمثابة اللاهدف، أو أنه يُلخّص كلّ حياته ويختصرها في اهداف محدودة جداً لأنه لا يعرف حجمه ولا حجم ما أودع الله تعالى فيه من طاقات وقدرات.

الأدعية ومنها دعاء العهد تعيد بلورة تفكير الإنسان، وبالتالي مسيرته في الحياة، وتحدد له اهدافاً عليا..

وكأنّه يخاطبك: أيها الإنسان أنت إذا عرفت حجم نفسك بمقدارها سيكون الهدف، أنت خُلقت لتكون سيد الكون وملِكاً في الجنة تخدمك الملائكة، لذلك أهدافك ينبغي أن تكون بمقدار هذه المكانة والمنزلة، ولكنّ النظرة الضيّقة إلى الذات تجعل الإنسان ينتخب لنفسه هدفاً ضيّقاً محدوداً، وفي النهاية يخسر نفسه.

هذا الدعاء يصنع للإنسان هدفاً عالياً، أن يكون من المؤسسين للحضارة الكونية، أن يساهم في إقامة حكم الله على الأرض، هذا الهدف يعطي للإنسان طاقة نفسية هائلة لا تتأثر بمرور عمره ولا زمانه، لذلك تجدوا حبيب بن مظاهر الأسدي حامل لواء الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) وقائد الأنصار كم كان عمره في كربلاء؟ سليمان بن صرد الخزاعي تجاوز التسعين ومع ذلك يقود معركة التوابين ويستشهد.

من أين أتوا بهذه القوة والطاقة؟

هؤلاء كانوا يحملون أهدافاً تضخ في وجودهم طاقات هائلة، وحينها كلمّا طال المسير في تحقيق الهدف زاد عزم الانسان وإصراره أكثر، فهو يفجر كلّ طاقاته ليكون الانسان الكامل اللامُنتهي اللامحدود، فحتى لو بلغ الثمانين أو التسعين وصار شيخاً كبيراً فهو يمتلك طاقة نفسية هائلة، بل، حتى لو فارق الحياة الدنيا بالموت سيبقى أمله في تحقيق هدفه شعلة لا تخبوا.

المقطع أعلاه يشير إلى هذا النوع من الأهداف، أنك أيها الإنسان أُعطيت سقفاً أعلى من الطموحات في نصرتك لإمام زمانك، لذلك حتى الموت لا يمكنه أن يحول بينك وبين بلوغها وتحقيقها.

((اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضيا ...))

فيما مضى من مقاطع كان الكلام على فرضيّة أن قارئ الدعاء أدرك عصر الظهور في حياته، وأمّا في حالة حصول الظهور بعد موت القارئ للدعاء فإن المقطع

الجديد يحدثنا عن حالة وفاة القاريء قبل زمان الظهور، حيث يتوسل إلى الله تعالى أن يكون ممن يبعث من قبره لنصرة الامام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

كان بمقدور الامام الصادق (عليه السلام) أن يقول ((اللهم إن حال بيني وبينه الموت فأخرجني من قبري)) لكنّه لم يكتفِ بذكر الموت بل وصفه بالحتم المقضّي وهذه العبارة ليست زائدة بحيث يستغنى عنها، بل هي عبارة هادفة، الهدف منها إعطاء القاريء سقفاً أعلى في تحقيقه لهدفه وطموحه، وأن يُبيّن له أنه رغم أنّ الموت قد حال بينك وبين أن يمتد عمرك إلى زمان الظهور لتدرك الدولة الالهية العظمى حال حياتك إلاّ أن الامل باقٍ، فأنت وإن كنت لا تستطيع تجاوز الموت الذي هو قضاء إلهي حتمي إلاّ أن الموت لن يمنعك عن الوصول إلى هدفك الكبير.

((فأخرجني من قبري))

هذه العبارة إشارة إلى الرجعة التي هي بوابة الأمل للمنتظر الذي مات دون أن يدرك الإمام (عج)، ليلتحق به (عج) في عصر الظهور.

ماهي الرجعة؟

ولمن تكون؟

ولماذا الرجعة؟

الرجعة / هي عقيدة من العقائد التي تختص بها الشيعة الإمامية وهي عبارة عن عودة طوائف من الموتى إلى الحياة الدنيا قبل قيام القيامة، قبل ظهور الإمام المهدي وبعده، ولذا يعبّر عنها بالقيامة الصغرى أو الحشر الأصغر.

وهنا حديثنا عن الرجعة في زمن الظهور بالخصوص.

من الذي يرجع؟

طائفتين/

الطائفة الأولى: من محض الشرك محضاً.

الطائفة الثانية: من محض الإيمان محضاً.

لذلك ورد عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه يقول: ((.... وإن الرجعة ليست عامة وهي خاصه لا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الشرك محضاً))[1]

محض: يعني خلُص فلا تشوبه أية شائبة.

من هم الذين محضوا الشرك؟

هم أولئك الذين وصلوا في النفاق والخسّة والدناءة إلى مستويات لم يصلها غيرهم، يعني بلغوا قمة القمّة من الكفر أو النفاق والدناءة.

هؤلاء أيضاً ليسوا كلهم يعودون، ما هو الدليل؟؟

(1) (بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٣٩)

قوله تعالى: ((**وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**))[1]

فمن محض الشرك ليسوا كلهم يرجعون، هناك استثناء، وهم الأقوام التي نالت جزاءها الدنيوي كقوم عاد ولوط وثمود وغيرهم.

هؤلاء أصابهم العذاب الشديد في الدنيا فلا يرجعون ، إنما يرجع من محض الكفر ممن لم ينل العقاب في الحياة الدنيا حتى ينال العذاب الشديد في الدنيا قبل العذاب الأكبر في الآخرة كما ذاق قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم جزاءهم في الدنيا، ولا طريق لذلك الاّ بالرجعة ولعلّ الآية ((وحرام على قرية اهلكناها إنهم لا يرجعون)) تشير إلى هذا المعنى لأنها تتحدث عن اقوام لن يرجعوا إلى الدنيا وهم أولئك الذين ذاقوا العذاب الشديد - الذي استأصلهم - في هذه الحياة الدنيا، فيتضح أن الذين محضوا الكفر

(١) (سورة الأنبياء، الآية ٩٥)

وبعد لم يذوقوا مثل هذا الجزاء ينبغي أن يرجعوا لينالوا جزائهم.

أيضاً ممن يرجع من محض الإيمان محضاً يعني الذين وصلوا إلى أعلى درجات الإيمان والخلوص.

هؤلاء لماذا يرجعون؟

عرفنا من محض الشرك لماذا يرجع، أمّا من محض الإيمان فلماذا يرجعون؟

نذكر بعض الاسباب بعنوان الاحتمال، والله العالم

* الرجعة نوع من التكريم لأولياء الله تعالى الذين عاشوا في دنياً ومع اشخاص لم يعرفوا قدرهم، لذا هم يعودون الى دنيا تعرف قدرهم ولو بمقدار.

* أفراد هذه الطائفة كانت لديهم إمكانيه واستعداد للوصول إلى أعلى مراتب الكمال، لكنهم واجهوا الموانع والعوائق - كحكام الجور والضلال - في طريق ومسير

تكاملهم المعنوي ولذا لم يتكاملوا التكامل اللائق بهم وباستعدادهم فالله سبحانه وتعالى بعدالته يرجعهم إلى الدنيا حتى يستكملوا هذه الحلقة التكاملية.

* لكي يشهدوا الحكومة العالمية الكونية، حكومة الحق والعدل، ويساهموا في بنائها، حيث أن الكمال الذي سيصل اليه الانسان فيها هو أعلى كمال يمكن أن يصل إليه الانسان، فمقتضى لطف الله تعالى بعبده المؤمن إيصاله إلى كل كمال يمكنه الوصول اليه.

فالحضارة التي سيؤسسها الإمام (عج) ليست حضارة أرضيه وإنما حضارة كونيه، لذلك ورد في القرآن الكريم ((**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**))[1] فالأرض هي مكان الخليفة، وليست مكان الخلافة، إن مكان الخليفة هو الأرض لكنّ مكان الخلافة الكون كلّه.

(1)(سورة البقرة، آية ٣٠)

إن الهدف من وجود الانسان على الارض هو إقامة الحضارة الكونية، وليس الهدف اقامة حضارة أرضيّة، إذ لا قيمة للحضارة الأرضية بالنسبة للكون كله، ولذا لا يكون الانسان خليفة إلاّ إذا سيطر على الكون كله بأمر الله تعالى وإذنه.

إن الحضارة الكونية تعني نفوذ الانسان وسيطرته على الفضاء اللامتناهي بذراته، ومجراته، وكنوزه، وطاقاته.

علماء الطبيعة يقولون إن الأرض التي نحن عليها لازالت إلى اليوم بكراً، بمعنى أن هذا الكوكب الصغير بالقياس إلى الكون، إلى الآن لم تكتشف كل ما فيه من أسرار وطاقات، فكيف بملايين الكواكب والمجرات في هذا الكون الواسع العظيم.

إذن لا زال هناك الكثير من الطاقات والكنوز والأسرار لم يعرفها الإنسان.

وإذا سئل الإنسان نفسه: لماذا خُلقت السماوات وما فيها من الكواكب والأفلاك والمجرات إذا كان الإنسان لا يستطع أن يصل إليها ويكتشفها ويعرف أسرارها ويسيطر عليها ويسخّرها لصالح أهدافه؟

قال تعالى: ((**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**))[1] ، بمعنى أن هناك هدفاً لخلقها والاّ صار خلقها عبثياً وهذا لا يمكن ان يصدر من الله الخالق الحكيم، فالهدف هو الاستثمار واكتشاف الكنوز والطاقات المودعة فيها.

إذن سيصل الإنسان في عصر الظهور وما بعده إلى مرحلة يعرف فيها أسرار الكون ومفاتيحه، وإذا عرف الأسرار والمفاتيح سيطر على الكون وأنشأ الحضارة الكونية.

---

(١) (سورة الأنبياء، الآية ١٦)

حينها سيتزاوج العلم مع العبادة فمن جهة يكتشف الانسان أسرار الكون ومن جهة أخرى هو في دولة تربيه على اللقاء مع الله تعالى وعبادته في كل آن، فتكون إقامة الدولة والحضارة الكونية بنفسها عبادة، والعبادة تتحقق في بعض جوانبها باكتشاف أسرار الكون وطاقاته، لماذا؟

لأن الإنسان كلما تعمّق في معرفة الكون ازدادت معرفته برب الكون وخالقه، وكلما ازادت معرفته برب الكون ازداد إيمانه وكماله وقربه الروحي من الله تعالى.

قال تعالى: ((**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**))[1] أي ليعرِفون.

حينها تتحقق جنة الولاية والامامة، ولكن بمستوىً جزئي وليس كلي فظهورها الكلي سيكون في عالم الآخرة؟

(1) (سورة الذاريات، الآية ٥٦)

والسبب هو ضيق الدنيا كما هو محقق عند علماء العرفان فالدنيا بكل ما فيها لا تتسع لظهور حقيقة باطن إنسان واحد، سواء كانت تلك الحقيقة ظلمانية أو نورانية، فالدنيا هي مكان الظاهر، وتجلي الباطن مكانه العالم الآخر.

فإذا كانت الدنيا لا تتسع لظهور حقيقة باطن إنسان واحد، هل يمكن أن تتسع لظهور حقيقة الولاية وباطنها؟

نعم يمكن أن يُشمّ من بعض الاخبار أن الوعاء الدنيوي سيتسع بمقدار معين بحيث تكون له القابلية لِتلقّي هذا التغيير الكبير الذي لا مثيل له ولا نظير في تاريخ الكون.

وما رجعة أهل البيت (عليهم السلام) في الحقيقة إلاّ لتحقيق مرتبة من مراتب الجنّة، كما تتحقق بالرجعة مرتبة من مراتب العذاب التي يطلق عليها القرآن صفة العذاب الشديد، حيث ينتقمون من اعدائهم ومبغضيهم وغاصبي حقهم.

وهكذا في ظل دولتهم يتحول الكون كله إلى جنة ينعم الإنسان فيها بكل أنواع الأمن، والسكينة، والطمأنينة، والاستقرار.

من أمثلة الذين يرجعون إلى الدنيا /

هناك شخصية ذكرتها الكتب الروائية والتاريخية تميّزت بطول عمرها وبدور قامت به في حياتها الطويلة، وهي حبّابة الوالبية، إمرأة تجاوز عمرها ال(٢٠٠) سنة، عاصرت ثمانية من الائمة (عليهم السلام) من عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عصر الامام الرضا (عليه السلام)، أعاد الله تعالى اليها شبابها مرتين، مرّة في عصر الامام السجاد (عليه السلام) وكان عمرها (١١٣) سنة، حيث دخلت عليه وهو راكع فأشار إليها بالسبابة فعاد إليها شبابها، والمرّة الثانية في عصر الامام الرضا (عليه السلام) وتوفيت في عصره (عليه السلام) بعد وفاة أبيه الامام الكاظم (عليه السلام) بتسعة شهور، وذكر اسمها الامام الصادق (عليه السلام) بين (١٣) امرأة ستكون

في ضمن ال(٣١٣) أصحاب الامام المهدي الخلّص، وقيل (٥٠) امرأة.

وهي صاحبة الحصاة التي طبع فيها أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه الشريف، وقال لها: إذا ادّعى مدعٍ الامامة فقدر أن يفعل كما فعلت فاعلمي أنه إمام مفترض الطاعة، يا حبابة لتلقيّن بهذه الحصاة ابني الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي ابن موسى، تريّن في نفسك برهاناً عظيماً منه وتختارين الموت فتموتين ويتولى أمرك ويقوم على حفرتك ويصلي عليك وأنا مبشرك بأنك مع المكرورات من المؤمنات مع المهدي من ذريتي إذا أظهر الله أمره"[١]

نقل إنها ذات يوم كانت نائمة على فراشها إذ نزل بها الحِمام المحتوم فأيقظوها فإذا هي قد سلمت، فلما كان من الغد إذ برسول الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عندهم وعنده كفن وحنوط، ثم قاموا في جهازها

(١) (موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع)، ص٢٨٨)

فصلّى عليها الامام (عليه السلام) ولقنها ثم قام على قبرها يبكي، ثم قال: "ابلغي آبائي مني السلام"[1]

إن أوّل ما أهلها لهذا المقام العظيم هو يقينها وإيمانها الراسخ بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) وكانت تسعى حثيثاً لزيادة هذا اليقين يوماً بعد يوم، لأنه إذا كان عند الانسان شكوك فيما يرجع إلى إمامتهم (عليهم السلام) فهذه الشكوك ستزيد من البعد بينه وبين أهل البيت (عليهم السلام) ويكون غير مؤهل للنصرة.

ثانياً: أنها امرأة منقطعة إلى الله تعالى فاضلة عالمة عرفت باجتهادها في العبادة حتى التصق بطنها بظهرها من كثرة عبادتها وانقطاعها إلى الله.

ثالثاً: أن لها موقفاً سياسياً واضحاً وبيّناً تجاه أهل البيت عليهم السلام، سئل الامام الصادق (عليه السلام): ما الذي أهلها لهذا المقام؟ فقال: لأنها في حياتها

---

(١) (المصدر السابق).

إذا رأت وفداً دخل على معاوية دخلت على الحسين (عليه السلام)[1] .

عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: "يكرّ مع القائم ثلاثة عشر امرأة، قلت: وما يصنع بهن؟ قال (عليه السلام): يداوين الجرحى ويقمن على المرضى كما كنّ مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت: فسميهن لي.... وحبابة الوالبية[2]" وفي رواية اخرى (٥٠) امرأة.

((فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرداً قناتي))

هنا يتكلم عن صورة وهيئة ذلك الخارج من قبره للنصرة، في أيّ هيئة سيخرج؟

(١) الإمام الحسين (عليه السلام) عاش في عهد معاوية بعد شهادة الامام الحسن عشر سنوات، ومعاوية يمثل الخط السياسي المقابل لخط اهل البيت عليهم السلام

(٢) (مدينة المعاجز، ج ٧، ص٢٥١)

يخرج في هيئة عسكرية بصورة المحارب المستعد للنصرة المتأهب لخوض المعركة، وقد ذكر الدعاء أسلحة وهي السيف والقناة (الرمح)، وهي من الأسلحة المأثورة في زمن صدور الدعاء ولا تتناسب مع التطور العلمي والتقني لزمن الظهور.

البعض يرى أنّ هذه الأسلحة وإن كانت قديمة، الاّ أنّ الإمام سيستخدمها، لأن الأسلحة الحديثة كالقنبلة النووية والذرية وليست عادلة، إذ يمكنها أن تفنى الألوف من الأبرياء وغير الأبرياء في لحظة واحدة، بينما الإمام سيقتل من يستحق القتل فقط، لذلك يعود إلى هذه الأسلحة لكنها ستكون أكثر فاعلية، أي أكثر تطوراً لتتناسب مع تطوّر الزمان الذي سيخرج فيه.

كأن تعمل هذه الأسلحة بقوة قلب الإنسان المؤمن الذي يستعملها، كيف؟

أمير المؤمنين عليه السلام، في واقعة خيبر قلع باب خيبر لوحده، ثمّ تترس بالباب، ثم ألقاه وراءه ثمانين شبراً، بعد ذلك حاول أربعون رجلاً - وقيل سبعين - رفع الباب فلم يستطيعوا.

ولمّا سئل الإمام عليه السلام كيف قلعت باب خيبر؟؟ قال عليه السلام: "والله ما قلعت باب خيبر، ودكدكت حصن اليهود بقوة جسمانية، بل بقوة إلهيه"[1].

ليس من البعيد أن يُعطى المؤمن في زمن الظهور من القوة ما يُؤثر بها في السلاح، مما يعني أن يكون منبع قوّة السلاح قلب المؤمن الذي يحمله، وذكرنا أن قلوبهم كزبر الحديد، لو أرادوا لاقتلعوا الجبال من أماكنها.[2]

(١) (موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ، ص٢٤٠)
(٢) (للمزيد حول طبيعة سلاح الإمام (عج) راجع كتاب كلمة الإمام المهدي(عج)/السيد حسن الشيرازي)

الرسول (صلى الله عليه وآلة وسلم) عُرج به إلى السماء على البراق هذه المركبة التي هي في سرعتها تفوق كل صواريخ العالم.

أيضاً الروايات تحدثت عن مركوب الإمام المهدي عليه السلام أنه فرس ذو أجنحه يمتلك شعور، وهو يشعر بما يريده قائده وصاحبه، ويتوجه إليه بلا أمر.

وهناك قول بأن السيف والقناة كناية عن السلاح مطلقاً.

ولكنّ القول الأرجح أنّ الإمام (ع) يقصد بالسيف والقناة الرمزية، حيث يريد الإمام (ع) بهذه العبارة أن يرمز إلى حالة الاستعداد والتهيؤ لهذا الإنسان، ولا يعني كلام الإمام أنه سيخرج بسيف ورمح.

والله سبحانه وتعالى هو العالم أيّ الاحتمالات هو الصحيح.

ولا فرق في هذه العبارة بين النساء والرجال، فالعبارة كناية عن طلب توفيق النصرة كلٌ حسب امكاناته وقدراته وتكليفه، فمن له القدرة على حمل السلاح يحمله ومن له القدرة على نشر العلم والمعرفة ينصر الإمام (عج) بهذا النحو.

((ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي))

أنّ تلبية دعوة الداعي تعني استعداد قاريء الدعاء لأن ينفّذ أوامر الإمام (عج) في توزيعه للأدوار العسكرية والمدنية التي توكل إليه من قبل الإمام (عج).

ولكن ماذا تعني عبارة الحاضر والبادي؟

الحاضر والبادي مصطلحان يستخدمان في سكان البادية (الصحراء)، والحاضرة أي الأماكن المأهولة بسكانها الدائمين مقابل السكان المتنقلين في البادية، فهنا تعبير عن المجتمع بجميع أقسامه ومستوياته.

حيث يهدف قارئ الدعاء إلى الإشارة إلى أنه سيلبي دعوة الإمام (عج) سواءً انتدبه إلى الحاضرة أو إلى البادية.

يعني مولاي إن انتدبتني إلى صحراء قاحلة أو انتدبتني إلى مدينة معمورة، فإنني سأكون على أتمّ الاستعداد لتلبية النداء، في جميع الحالات وتحت كلّ الظروف، وفي هذا دلالة على العزم الراسخ على الامتثال والطاعة..

لبيك داعي الله..

بَدِدْ بنورك ظلمة الأحقادِ

وأشرق فوجهك بغيتي ومرادي

وانشر لواءَ الحق فوقَ ربوعِنا

واجتثَّ كل زعانِف الإفساد

طهّر بلادَ اللهِ إنّ ترابها

يهفو لوطئِك يا سليل الهادي

واكحل بطلعتِك الحنون جفوننا

فالعينُ قد دميت من الإجهادِ

الفهرس

المقدمة ٧

لماذا اخترت دعاء العهد بالذات؟ ١٢

لماذا سمَّي هذا الدعاء بدعاء العهد؟ ١٧

سِرُّ الأربعين ١٩

"من دعا إلى الله أربعين صباحاً" ٣٥

يا تُرى ما هو سر التوقيت الصباحي؟ ٣٥

أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول ابدا)) ٣٧

((اللهمّ إنّي)) ٣٧

((أجدد له)) ٣٨

لفتة: ٧٤

تقريب/ ٧٥

((والذَّابين عنه)) ٧٦

((والمسارعين إليه في قضاء حوائجه)) ٧٨

((والممتثلين لأوامره)) ٧٩

((والمحامين عنه)) ٨٧

((والسابقين إلى إرادته)) ٨٧

((والمستشهدين بين يديه)) ٨٨

((اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرداً قناتي ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي)) ٨٩

((اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضيا ...)) ٩١

((فأخرجني من قبري)) ٩٣

((فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرداً قناتي)) ١٠٥

هذ الكتاب هو شرح لمقطع من دعاء العهد الشريف،

وهو قول الإمام الصادق (ع)

اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعةً له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبدا، اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه، والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والممتثلين لأوامره والمحامين عنه والسابقين إلى إرادته والمستشهدين بين يديه، اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني من قبري، مؤتزراً كفني، شاهراً سيفي، مجرداً قناتي، ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي